الجامعة الاردنية

كلية الدراسات العليا

رسالة ماجستير

صورة المرأة في روايات حنا مينة

اعداد

ناهدة أحمد عثمان الكسواني

اشراف:

الاستاذ الدكتور ابراهيم السعافين

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية .

تشرين الأول ١٩٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١١/١٠/١٩٩٣ وأجيزت

لجنة المناقشة :-

الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين (مشرفاً)

الأستاذ الدكتور إحسان عباس (عضواً)

الأستاذ الدكتور محمد شاهين (عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهداء

الى والديّ العزيزين

ثمرة صبرهما وتشجيعهما وإلى اخوتي

الأعزاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الاهداء	جـ
فهرس الموضوعات	د
الملخص	و
المقدمة	١
المدخل :-	
١- واقع الحياة في سورية بعد الحرب العالمية الأولى .	٤
٢- واقع المرأة السورية بعد الحرب العالمية الأولى .	١٢
الفصل الأول :-	
صورة المرأة في روايات حنا مينة :	
١- موقف حنا مينة النظري والفني من المرأة .	٢٣
٢- صور المرأة :-	
أ- الأم - الزوجة -.	٢٧
ب- الأرملة .	٤٤
جـ- الأخت .	٤٦
د- الابنة .	٥٠
هـ- القريبة .	٥٢
و- الحبيبة -	٥٤
ز- المومس الفاضلة .	٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحة

الفصل الثاني :-

البناء الفني .

١- المكان والزمان . ٦٩

٢- اللغة . ٨٤

٣- صورة المرأة بين الشخصية الانسانية والنموذج . ١٠٦

٤- الواقع والرمز. ١١٤

الخاتمة ١١٩

قائمة بالمصادر والمراجع والدوريات . ١٢٢

الملخص بالانجليزية ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

صورة المرأة في روايات حنامينه

يُعدّ حنامينه من الروائيين الذين استطاعوا تصوير وضع المرأة من خلال واقعها الاجتماعي ، الذي تعيشه ، بقالب أدبي متميز .

ويُقدّم هذا البحث دراسة لصورة المرأة من خلال رواياته التي عكست صورتها ما قبل الخمسينات وما بعد .

وقد بينت الدراسة ان الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سورية قبل الاستقلال وبعده انعكس على المرأة السورية سلباً وايجاباً . وحللت أيضاً صورة الأم ، الأرملة ، الابنة ، الاخت ، الحبيبة ، والمومس الفاضلة ، وتطرقت إلى موقفه النظري والفني من المرأة .

ونستطيع القول ان حنامينه صور المرأة بمختلف فئاتها ، وما تعانيه من مشكلات وآلام ، وصوراً أيضاً معاناتها ضد قيود المجتمع وعاداته ، وحلل نضالها في مجتمع ينظر للمرأة نظرة دونية . وقد نالت عطفه في مختلف مستوياتها وصورها حتى الخاطئة ، فهي في نظره لم تختر طريقها ، بل أجبرت عليه ، لذا جعلها تملك روحاً نقية دفعتها إلى الانضمام للثائرين على الانتداب .

ولم تبد في صورة النقيض إلا من خلال أوصاف سريعة لا تجسد شخصية انسانية بقدر ما ترمز إلى موقف اجتماعي ، أو طبقي .

وتطرقت الدراسة أيضاً إلى تأثير المكان والزمان على نفسية المرأة وسلوكها . وإلى دور اللغة في الكشف عن واقعها الاجتماعي ، وعن نفسيتها وطبيعتها .

وحللت صورتها بين الشخصية الانسانية والنموذج وصورتها بين الواقع والرمز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

تعدُّ المرأة من الركائز المهمة في بناء المجتمعات الانسانية،إذ لا يمكن تصور مجتمع انساني يتطور بعيداً عن تطور المرأة ورقيها .

والحديث عنها له مذاق خاص ، فهي الأم والبنت والزوجة والمحبة والملهمة وشريكة الحياة ، ومربية الأجيال . ومن هنا تولّدت لدي الرغبة في دراسة موضوع يتعلق بالمرأة ، محاولة الوصول إلى عالمها الأوسع.

ولم تكن الغاية من دراستي السعي الى انصاف المرأة ، بل إن واقعها الاجتماعي الذي أخذ يتغير تدريجيا بمرور الزمن ، ومحاولة مجتمعاتنا العربية ، اعطاءها الوضع الطبيعي ، والمكان الحقيقي ، هو الذي دفعني إلى السير في هذه الطريق ، متخذة من الرواية موضوعا لدراستي ، ومن الروائي حنا مينة نموذجاً .

وقد وقع اختياري على الرواية لأنها من أكثر الأشكال الأدبية استجابة للتطور وحركة التغيير المستمرة في مجتمعاتنا . واخترت حنا مينة نموذجاً لدراستي لأنه يعدُّ من الروائيين الذين استطاعوا عكس موضوع المرأة من خلال واقعها الاجتماعي الذي تعيشه ، بقالب أدبي متميز .

فقد صور المرأة بمختلف فئاتها وما تعانيه من مشكلات وآلام ، وصور أيضا معاناتها ضد قيود المجتمع وعاداته وحلل نضالها في مجتمع ينظر للمرأة نظرة دونية .

وقد توزعت الدراسة على مدخل وفصلين وخاتمة .

تحدثت في المدخل ، وبصورة موجزة ، عن . واقع الحياة في سورية بعد الحرب العالمية الاولى ، ومدى انعكاس الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حال المرأة السورية وواقعها. اذ لا يمكننا الحديث عن صورة المرأة دون معرفة واقع الحياة السورية في الفترة التي يتحدث عنهاحنا مينة في رواياته .وكان لها تأثير قوي على واقعها

وخصصت الفصل الاول لدراسة صورة المرأة في روايات حنا مينه ، فتحدثت في البداية عن موقف حنا مينه النظري والفني من المرأة ،إذ لا بد لمن يريد دراسة صورة المرأة في رواياته من معرفة تصوره عن تقويم المرأة في الفترة التي تدور فيها أحداث رواياته ، ومدى انعكاسه على موقفه الفني سلبا أو ايجاباً ومن ثم تحدثت عن صورة الأم الأرملة ، الاخت ، الابنة ، القريبة ، الحبيبة ، والمومس الفاضلة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الثاني ، فخصصته لدراسة البناء الفني فيما يخص المرأة بالذات ، وقسمته الى أربعة اقسام :

القسم الاول تحدثت فيه عن تأثير المكان والزمان على المرأة سلباً وايجاباً . وخصصت القسم الثاني للحديث عن لغة المرأة ، باعتبارها جزءاً مهماً من الاسلوب التعبيري في الرواية .

وتحدثت في القسم الثالث عن صورة المرأة بين الشخصية الانسانية والنموذج ،وتراوحت النماذج ، بين نموذج الكفاح الأمومي ، ونموذج المومس الفاضلة ، ونموذج المرأة الثورية .

وفي القسم الرابع تحدثت عن صورة المرأة بين الواقع والرمز .

وأخيرا : ما كان لهذا البحث أن ينجز لولا المتابعة التي شملني بها استاذي المشرف ، الدكتور ابراهيم السعافين ،وسعة صدره ، وعظم صبره علي ، فله مني جزيل الشكر والعرفان كما وأتقدم بجزيل الشكرإلى الاستاذ الدكتور احسان عباس على تفضله بقبول قراءة هذه الرسالة ومناقشتها منذ ان كانت مخطوطة ،وعلى ما أفادني به من ملاحظات قيمة انتفعت بها قدر استطاعتي واتقدم بالشكر الى الاستاذ الدكتور محمد شاهين على تفضله بقبول مناقشة هذه الرسالة

كما وأتقدم بالشكر الى الكاتب الروائي حنا مينه الذي أسهم في تقديم المساعدة والمعونة لي .

والله ولي التوفيق

١٩٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- واقع الحياة في سورية بعد الحرب العالمية الاولى :

١- الأوضاع السياسية : -

كان من المتوقع أن تنال سورية استقلالها بعد انتهاء الحرب الأولى ، لكن الأطماع الأجنبية في المنطقة بشكل عام حالت دون تحقيق هذا الحلم .

فقد أقرت معاهدة سان ريمو وقوع سورية تحت الانتداب الفرنسي في عام ١٩٢٠ ، لكنها لم تستطع فرضه إلا بعد معركة ميسلون ، التي انتهت لصالح الفرنسيين ، لتبدأ حقبة جديدة في تاريخ الشعب السوري.

ولم يكتف الفرنسيون باحتلالهم سورية ،انما لجأوا إلى سياسة التقسيم الطائفي ، حيث قسموها إلى دويلات مستقلة ، هي دويلة لبنان الكبير ، ودويلة حلب ، ودويلة العلويين ، ودويلة دمشق ، ودويلة جبل الدروز ، ولواء الاسكندرون الذي يتمتع بادارة خاصة مرتبطة بدويلة حلب - وقد سلمته في عام ١٩٣٩ الى تركيا- [١]

وكان على الانتداب تحمل نتيجة قراره الاستيلاء على أرض ليست له . إذ لم يسكت الشعب ، فانطلقت الثورات التي عمت جميع انحاء سورية ، مطالبة بانهاء الانتداب [٢]

لكن مطالبه لم تتحقق إلا في عام ١٩٤١ حين اضطرت للاعتراف باستقلال سورية ، وذلك بعد تعرضها للهزائم المتلاحقة من قبل الألمان - الحرب العالمية الثانية - لكنها لم تنسحب إلا في عام ١٩٤٦ . ليبدأ عهد جديد في حياة الشعب السوري ، لكن الأوضاع لم تستقر ، فقد توالت الانقلابات العسكرية من عام ١٩٤٩ - ١٩٥١ .

وكان لا بد من منفذ لتخرج البلاد من كل هذه التناقضات المحيطة بها ، فكانت الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ ، المنفذ والأمل ،حيث أعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر .

---

(١) للمزيد انظر ، محيي الدين السفرجلاني - تاريخ الثورة السورية . دار اليقظة العربية للتأليف والنشر - دمشق ١٩٦١ . ص ٥٧ - ص ٥٨، ص ٧٢ .

وانظر ايضا نجيب الارمنازي - محاضرات عن سورية من الاحتلال حتى الجلاء معهد الدراسات العربية العالمية . القاهرة ١٩٥٤ . ص ٨٥-ص٩٩.

(٢) للمزيد انظر ، وليد المعلم - سورية ١٩١٦ - ١٩٤٦ . الطريق الى الحرية . دار طلاس - دمشق ، ط ١٩٨٨ ص ص١٧٥ وما بعد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الوحدة لم تستمر طويلا ، فقد فكت في العام ١٩٦١ ، اثر انقلاب عسكري مفاجئ ، جاء نتيجة تحالف البرجوازية والاقطاعية معاً . (١)

وفي عام ١٩٦٣ حدث انقلاب آخر بحجة تصحيح الأوضاع التي نجمت عن الانقلاب الأخير وفي عام ١٩٧٠ استولى حزب البعث على السلطة ، وما زال .

٢- الزراعة :-

بعد احتلال فرنسا لسورية ، أصدرت تشريعات جديدة حول ملكية الاراضي، ليصبح حق الملكية مقتصرا على داخل الحدود الإدارية ،وما عداها اعتبر أراضي أميرية . وقامت بتسجيل مساحات كبيرة من الأراضي لاقطاعيين ، قاموا بخدمتها ، وبتدعيم مواقفها .

وقد شجعت الزراعة التصديرية التي تدر عليها أرباحاً مثل الحرير الطبيعي ، والتبغ والقطن. وفي الوقت نفسه أعاقت تطوير الزراعة غير التقليدية ، ليبقى الاقتصاد السوري معتمدا على السوق الخارجية (٢) ومن هذا المنطلق انصب اهتمامها على الكم الانتاجي ، بغض النظر عن النوعية ، وذلك عن طريق استغلال الفلاحين ، لذا كانت الانتاجية منخفضة . فالاقطاعي لم يهتم بتحسين انتاجية الأرض ، والفلاح ليست لديه الامكانات والاموال اللازمة ، اضافة إلى عدم رغبته في رفع الانتاجية ، لأن الأرض ليست له . (٣)

وقد استغل الاقطاعي الفلاح أبشع استغلال ، وذلك عن طريق ما يعرف بنظام المحاصة ، الذي منح الاقطاعي دخلاً مرتفعاً جدا ، مقارنة مع الفلاح .

ولم يتغير الوضع كثيراً بعد الاستقلال ، إذ تعاونت بعض الفئات البرجوازية والاقطاعية على اغتصاب مزيد من الأراضي الواسعة في عدد من المحافظات .

وبقي الفلاح يعمل بموجب نظام المحاصة حتى عام ١٩٥٨ ، إذ صدر قانون الاصلاح الزراعي في عهد الوحدة . ورغم صدوره ، فإن مشاكل الزراعة لم تنته، فما زال الفلاح يواجه العراقيل والمصاعب ، فانتاجه لم يتحسن ، ودخله غير مستقر ، بسبب اعتماده في الدرجة الأولى على المطر الموسمي ، وبسبب عدم اتباعه للدورة الزراعية ، التي تساعد على زيادة

---

(١) انظر، حسن الحكيم – مذكراتي ، ١٩٢٠– ١٩٥٨ . دار الكتاب الجديد – بيروت الجزء الثاني ١٩٦٦ ص ٢٣٧.

(٢) للمزيد انظر ، يوسف اليوسف – السلطة السياسية في سورية المعاصرة . طابعها ومحتواها الاجتماعي ، من ١٩٢٠ حتى الآن . رسالة جامعية . جامعة دمشق ١٩٨٩ . ص ٧٠ ،٧١ ، ص٨٦ ، ٨٧

(٣) خضر زكريا – خصائص التركيب الطبقي في سورية . ب.ت ص ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منتوجه الزراعي ، وبسبب جهله للأساليب الزراعية الحديثة ، واضطراره للتعامل مع المرابين لتمويله ، ويضاف الى ذلك كله ، افتقار الزراعة السورية إلى أساليب التسويق الحديثة .[١]

٣- الصناعة :-

لقد لعب الانتداب الفرنسي دوراً كبيراً في تهميش الصناعة ، وذلك بمحاولته بشتى الطرق التقليل مما ينتجه الاقليم السوري ، حتى يبقى معتمدا على الأسواق الفرنسية . لكنها اضطرت في بعض الأحيان ، ولو بشكل ظاهري ، إلى حماية الاقتصاد والصناعة الوطنية ،حتى لا تتعرض لخسائر فادحة ، وتفقد الأرباح التي تجنيها من وراء هذه الصناعات . فقد اضطرت اثر الازمة الاقتصادية العالمية التي ظهرت عام ١٩٢٨ وتحت الحاح الحركات الوطنية ، إلى اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الاقتصاد ، والصناعة الوطنية ، وتشجيع نموها . فسمحت بانشاء عدد من المصانع ، وتجديد بعضها الاخر ، وسمحت أيضاً بتكوين شبكة مصرفية حديثة باشراف مصرف سورية ولبنان[٢] .

ورغم ذلك فالصناعة لم تتطور ، نتيجة تغلغل الرأسمال الاجنبي . ومع بداية الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة عدم انتظام المواصلات بين كثير من انحاء العالم ، ووضع قيود على التجارة ،قلت الواردات التي اعتمد عليها الاحتلال ، وازداد الطلب على المنتوجات الغذائية اللازمة لتمويل الجيش الفرنسي .

وقد دفعت هذه الاوضاع عدداً من أصحاب رؤوس الأموال السوريين ، إلى انشاء مصانع غذائية ، لانتاج ما يحتاجه القطر .

وبعد انتهاء الحرب ، أقيمت عدد من المصانع غير الغذائية ، كمصانع الغزل ، والمنسوجات القطنية ، والسكر، والتبغ . وهذه المشاريع ساهمت في زيادة الأيدي العاملة في مجال الصناعة ، لتفوق في بعض الأحيان عدد الأيدي العاملة في الزراعة .

وقد حاولت الحكومات التي تناوبت على الحكم بعد الاستقلال ، تطوير الصناعة ،لكن

---

(١) للمزيد انظر ، عبد الحق حداد ، وعدنان حميش – تاريخ الحركات الفلاحية .ب .ت .ص ١٤٤
وانظر ايضا ، سعيد مغربل ، وانور العقاد – مطالعات في المجتمع الريفي . مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية –حلب ط١ ١٩٦٥ . ص٧٦ ، ص ٨٨ ، ص ١٢٦ ، ص ١٣٢

(٢) انظر ، رزق الله هيلان – الثقافة والتنمية الاقتصادية في سورية والبلدان المختلفة ب.ت ص ١١٧ – ص ١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظروف التي أعقبت الاستقلال ، من صراعات طبقية بين البرجوازية والاقطاعية، وبدء ظهور طبقة الرأسمالية ، وطبقة العمال التي أخذت تحاول الحد من احتكار الطبقات المستغلة للاقتصاد ،وكذلك صدور قوانين التأميم بالنسبة للمصانع الكبرى وشركات التأمين ، وزيادة الضرائب .

كل هذا دفع البرجوازية إلى تهريب اموالها خارج البلاد، مما سبب انتكاساً للصناعة (١)

(١) انظر ، يحيى عرودكي – الاقتصاد السوري الحديث . وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق ١٩٧٢ . الجزء الاول .ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الاوضاع الاجتماعية :-

لعلّ أهم ما ميز المجتمع السوري ، سيطرة فئة قليلة من المحتكرين ، على الثروة والمكانة أما الفلاح فقد كان تحت رحمة الاقطاعي ، في معظم المحافظات ، وامتازت حياته بالفقر المدقع ، حتى أنه اضطر في بعض الأحيان الى العيش مع الحيوانات اللازمة لعمله في شروط صحية غاية في السوء . مما ساعد على انتشار الأمراض ، وزيادة الوفيات ، لا سيما في الريف ، حيث تكاد تنعدم المستوصفات الطبية ، وتصعب المواصلات ، وتعظم أجور النقل ، لذا كان إذا مرض أحد ما ، قد يموت قبل أن يصل عيادة الطبيب . التي ربما تكون في قرية بعيدة ، أو في المدينة ، فمن النادر أن تجد طبيبا في العديد من القرى . أما المشعوذون فموجودون بكثرة ، وعملهم انصب على استغلال الفلاح المسكين [١] .

وشاركت البرجوازية الاقطاعية ، في زيادة حالة البؤس التي عاشها الشعب ، فمطامعها في تحقيق الكسب والثراء ، ومساندة سلطات الاحتلال لها ، جعلها تحكم سيطرتها على الاقتصاد ، وبالتالي تتحكم في قوت الشعب .

فكما هو معروف للكثيرين ، كانت العملة السورية مرتبطة بالفرنك الفرنسي ، وأي هزة يتعرض لها ، تؤثر على الاقتصاد السوري . فتخفيض الفرنك يقلل من قيمة الصادرات ، ويرفع من قيمة الواردات ، مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار ، وازدياد العجزفي الميزان الحسابي . وهذا كله على حساب الفلاح المعدم ، أما أغنياء الفلاحين فقد ساعدهم غلاء المنتجات الزراعية على توطيد مراكزهم في الريف .

ولم يختلف الوضع بالنسبة للذين يعملون في المصانع والمؤسسات الأخرى ، فقد عانى العمال مثلما عانى اخوتهم الفلاحون ، وشاركهم المستخدمون والموظفون معاناتهم ، وازدادت الاوضاع سوءاً مع بدء الحرب الثانية .[٢]

فقد واكب الحرب ازدهار اقتصادي ، ونشأ عنه تبدل في الاتجاهات الفكرية العامة وتغير في نظرة الناس للحياة، ونتج عنه أيضا ثراء بعض الفئات ، على حساب الفئات الاخرى ، وذلك باستغلالها غلاء الاسعار ، وبتحكمها في قوت الشعب . مما ساعد على سوء توزيع الثروة بين

---

(١) يوسف اليوسف – السلطة السياسية في سورية المعاصرة . ص ٨٧ – ص ٩٨ .

(٢) نفسه ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناس ، وعدم حصول الطبقات الكادحة على دخل مناسب لمستوى المعيشة .

وعمت المظاهرات جميع انحاء سورية ، نتيجة ارتفاع الأسعار ، ونقص المحروقات ، وانقطاع التيار الكهربائي ، وطالب المتظاهرون من العمال والفلاحين – الذين عانوا من البطالة والجوع – السلطات بضرورة توفير الخبز والسكر والمحروقات ، التي اختفت من الاسواق نتيجة تخزينها في مخازن التجار .

وكان لابد من اتخاذ اجراءات تشجع التجار على الافراج عن الحبوب ،والمنتجات الغذائية حيث أمر المندوب السامي ، برفع سعر الحبوب بنسبة ٥٪ لكن هذا الاجراء أدى إلى ارتفاع الاسعار وأصبح قسم كبير من الناس على شفا مجاعة كبيرة ، لأنهم لم يستطيعوا الحصول على رغيف الخبز نتيجة ارتفاع سعره ، بنسبة تزيد على أربعة أضعاف ماكان عليه قبل الحرب .وساهم هذا في ازدياد حدة المظاهرات . مما دفع الحكومة الى الاستعانة بسلطان باشا الاطرش ، الذي ساهم بحل أزمة الخبز ، إذ طالب بوقف التعامل مع المحتكرين ، وبفضحهم على الملأ ، مما ضطرهم الى الافراج عن مخزونهم من الحبوب . (١)

وبزوال الاحتلال ، كان من المتوقع أن تزول مظاهر الاقطاعية والبرجوازية ، لكننا لو نظرنا الى الواقع الاقتصادي والاجتماعي ، لوجدنا أن بقايا الاقطاع والبرجوازية ما زالت موجودة . مع أننا لا ننكر حدوث تغيير ما على مستوى الحياة الاجتماعية . اذ ظهرت شرائح اجتماعية حديدة ، كان لها دور بارز على الصعيدين الجماهيري والعسكري ،وتألفت هذه الشرائح الجديدة من الفلاحين ، والعمال ، وصغار الكسبة ،والحرفيين والفقراء .

٤٣٢٦٧٦

وقد ادركت هذه القوى أن نضالها في سبيل التحرر يجب ان لا يتجه فقط الى المستعمر الاجنبي ، بل يجب أن يواكبه نضال ضد الفئات المستغلة التي تحاول الحلول مكان الاستعمار . مستبدلة القيود الأجنبية بالقيود الوطنية ظاهراً لكنها في الحقيقة هي قيود استعمارية مدعومة بشكل خفي من قوى أجنبية تحاول العودة الى احتكار السوق الداخلية والخارجية ، للاقتصاد السوري .(٢)

---

(١) انظر وليد المعلم – سورية ١٩١٦ – ١٩٤٦ الطريق الى الحرية . ص ٣٥٠ ، ص ٣٨٦ .

انظر ايضا ، جميل صليبا –الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث . معهد الدراسات العربية والعالمية – القاهرة ١٩٥٨ . ص ٥٩

(٢) سحر السيوفي – حركة التأليف الادبي واللغوي في القطر العربي السوري منذ مرحلة الاستقلال حتى منتصف السبعينات . رسالة جامعية . جامعة دمشق ، ١٩٨٠ .ص ٧ ، ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لا بد لهذه القوى أن تلعب دوراً بارزاً في تغيير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، في أواخر الستينات وأوائل السبعينات .

٥- التعليم :

كانت الأمية متفشية بين أبناء الشعب العربي السوري أثناء الحكم العثماني ، فلم يكن هناك اهتمام بنشر التعليم بين فئات الشعب ، وكانت الكتاتيب المنبر العلمي الأساسي في تلك الفترة ، ومهمتها تكاد تقتصرعلى تحفيظ القرآن للطلاب . ومع ذلك وجدت بعض المدارس الرسمية التي تشرف عليها الحكومة ، لكنها لم تكن منتشرة على نطاق واسع اضافة إلى بعض المدارس التابعة للارساليات الاجنبية ، وأخرى تشرف عليها الكنيسة .

ولم يتحسن الوضع بعد الانتداب ، فلسطات الانتداب لم تهتم بهذه القضية، لأن تفشي الامية يطيل عمرها . لكنها اضطرت إلى الاشراف على التعليم ، ونشره على نطاق ضيق ، وذلك لتسهيل عملية استثمار رأس المال الاجنبي للموارد الوطنية . وفي الوقت نفسه حاولت جاهدة الحد من نشر العلم – لئلا تستفيد الحركات الوطنية منه ، وتتخذه سلاحا ضدها– وذلك عن طريق نشرها للفقر ، والتقليل من الاعتمادات المخصصة للتعليم ، وعن طريق تشجيعها للمدارس التبشيرية والأجنبية ، لا سيما الفرنسية .

وضمن هذا الاطار تطور التعليم تطورا بطيئاً جداً ، إذ لم تزد نسبة المتعلمين عن حوالي ٢٠٪ ، في حين ارتفعت النسبة بعد عشر سنوات من الاستقلال ، فبلغت حوالي ٤٠٪ (١)

وقد شارك الاقطاعي سلطات الانتداب في الوصاية على التعليم ، وذلك بقيامه في بعض الاحيان بفتح مدرسة في قرية ما ، وطرد المعلم الذي يشعر أن أفكاره تشكل خطرا على عقول التلاميذ .

وبعد الاستقلال بدأ الوضع يتغير تدريجياً ، فبعد اجراء انتخابات ١٩٤٣ ، وجهت الحكومة الوطنية سياسة التعليم توجيهاً قومياً ، معتزمة انشاء نظام من التربية العربية السورية . وقد انتفعت بآراء ساطع الحصري في وضع نظم التعليم الجديدة ، التي شكلت انحرافا عن السياسة الفرنسية ، مما أدى إلى نشوب خلاف بين سلطات الانتداب وبين الحكومة الوطنية .

---

(١) بدر الدين السباعي – أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية ١٨٥٠ – ١٩٥٨ ص٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وازدادت الاوضاع سوءاً بعد تدمير دمشق بالقنابل ، مما دفع الحكومة الى فرض شروط على المدارس الخاصة ، من أجل السماح لها بالعودة الى العمل . ولم تستطع معظم المدارس الايفاء بشروط الحكومة ، فأُغلق بعضها ، وحُوّل بعضها الآخر إلى مدارس وطنية.. [١]

وفي ظل الحكم الوطني فتح المجال لابناء الطبقات الفقيرة ، للاستفادة من الخدمات التعليمية الممنوحة من قبل الحكومة ، حيث يسرت لهم التعلم في المدارس وفي الجامعات ، فازدادت نتيجة للتسهيلات الممنوحة نسبة المتعلمين – خصوصا بعد فرض التعليم الالزامي للمرحلة الابتدائية –وقلت نسبة الامية . ورافق هذا تطور في نوعية التعليم ، واغلاق للمدراس الأجنبية والتبشيرية [٢]

وأخيراً يمكننا القول ، إن تغير الاوضاع السياسية ، ساهم في تحسين الوضع التعليمي في سورية .

---

(١) نبيلة الرزاز – مشاركةالمرأة في الحياة العامة في سورية منذ الاستقلال ١٩٤٥ – ١٩٧٥ وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٥. ص١٨.

(٢) للمزيد انظر ، حسام الخطيب –ازدهار التعليم وأثره في نهضة القصةالسورية .مجلة المعلم العربي . العدد العاشر ،تشرين الاول ١٩٧٣ ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- واقع المرأة السورية بعد الحرب العالمية الاولى :-

تمثل المرأة نصف المجتمع ، فهي قوة بشرية لا يستهان بها ، لكنها حتى الان لم تأخذ دورها ومكانها الصحيح في معظم المجتمعات . فوضع المرأة ومكانتها مرتبطان ببنى المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية . بحيث يتحدد وضعها حسب وضع المجتمع الذي تعيش فيه ، فاذا كان يخضع لسيطرة خارجية ، فان هذا يؤثر عليها وعلى وضعهاتبعا لتأثيره على جميع المرافق الحياتية . وباختصار يمكننا القول ان تحريرالمرأة مرتبط بتحرير المجتمع ، من جيمع القيود التي تحيط به مهما يكن نوعها .[١] ولانكاد نجافي الحقيقة ، اذا قلنا إن واقع المرأة العربية يكاد يكون مشتركا ، في كافة أقطار وطننا العربي ، نظراً لتشابه الظروف التي مرت بها ، فقد عانت المرأة العربية من الظلم والاضطهاد في فترات زمنية مختلفة ، خصوصا في فترة انحلال الخلافة العباسية ، بعد سقوط بغداد في أيدي التتار وفي أثناء الحكم العثماني .

ومع بداية القرن العشرين بدأت الدعوات تنطلق بالمناداة بتحرير المرأة العربية،لكنها لم تلق آذاناً صاغية . ربما لأن ظروف البلاد العربية وخضوعها للاستعمار الاجنبي بمختلف اشكاله جعلها تهمل هذه الدعوات ، لان ما كان يهمها في الدرجة الاولى هوالاستقلال السياسي والاقتصادي ، ومن ثم تلتفت للأمور الاخرى بعد زوال الاحتلال .

وبدأ وضعها يتغير تدريجيا، بعد نيل معظم الاقطار استقلالها ، اذ بدأت تشارك في عمليات التنمية المختلفة ، لكن بنسب متفاوته بين الاقطار ، نظراً لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية لكل قطر . رغم ان السمات العامة للمجتمع العربي تكاد تكون متشابهة [٢]

لكن هناك من يرى أن المرأة العربية ، ما تزال تحتل موقعا دونياً في بنية العائلة العربية ، وذلك نتيجة مباشرة للنظام السائد ، ونوعية البنى الاجتماعية ، ،وطبيعة توزيع العمل ، ومدى

---

(١) انظر ، حليم بركات – المجتمع العربي . ص ١٨٩

عبد الهادي عباس – المرأة والاسرة في حضارات الشعوب وانظمتها . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر –دمشق . ط١ ١٩٨٧ . الجزء الثالث . ص ١٢٣٦.

فوزية العطية– المرأة والتغيير والاجتماعي في الوطن العربي . معهد البحوث والدراسات العربية – بغداد ١٩٨٣.ص١٠

(٢) فوزية العطية – المرأة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي . ص١٠٦ ومابعد /

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشاركة في عمليات الانتاج، وتتغير مكانتها بتغير هذه الاوضاع [١].

ويتفق معه الرأي القائل ، بأن المرأة نصف المجتمع البشري ، وتعتبر عنصرا حضاريا فعالا في احياء الاخلاق وبعثها وتجديدها ، ومع ذلك فقد ظلت في مجتمعنا الشرقي حتى يومنا هذا على الهامش المنسي ، مما ساعد في تأخير تقدمنا .[٢]

وما يهمنا في هذه العجالة ، معرفة وضع المرأة في المجتمع العربي السوري .

يمكننا القول ،انها عانت من الانتداب ، ووقع عليها من الظلم والقسوة ، ما وقع على افراد مجتمعها .فقد أصبح المجتمع السوري أثناء الاحتلال مكبلا ، غارقا في الجهل ،والتخلف ، يتحكم فيه الاقطاع والبرجوازية ، وتسوده العلاقات الطبقية . وليس فيه من الصناعات سوى الصناعات الغذائية المعتمدة على الزراعة ، والصناعات اليدوية الخفيفة .

وانتشرت الأمية ، نظرا لعدم اهتمام الاحتلال بنشر التعليم ، فالمدارس المفتوحة قليلة ، وفي ظل هذه الظروف السيئة ، حرمت المرأة من التعليم – مع وجود قليلات ممن سمحت لهن الظروف بالالتحاق بالمدارس – لكن الوضع بدأ يتغير تدريجيا ،نتيجة لتطور المجتمع الشامي .

فحين كان المجتمع زراعياً أسريا ، للرجل فيه الكلمة الاولى ، عانت المرأة . لكن مع أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات ، عندما حلت تغيرات حاسمة على المجتمع ، واصطدم القديم بالجديد ، وبدأ المجتمع يتجه نحو الصناعة ، تطور وضعها ، فنالت نوعا من الاستقلالية .[٣]

ولمعرفة واقع المرأة السورية ، لا بد لنا من التعرف على واقع المرأة الريفية وعلى واقع المرأة التي تعيش في المدينة .

فلو نظرنا إلى وضعها في الريف قبل الاستقلال ، لوجدنا انه امتاز بالدونية والجهل والفقر

---

(١) حليم بركات – المجتمع العربي المعاصر . ص ١٨٤ .

انظر ايضا ، حليم بركات – النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية . المستقبل العربي . العدد الرابع والثلاثون ، ١٩٨١ ص ٥٤ ، ص ٥٥،

أمل دكاك ، وسلمى كامل ، دور الصحفية العربية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية الخدمة الاعلامية للمرأة العربية . مجموعة أعمال ندوة الصحفيات العربيات في الجزائر ١٩٨١ . ص٥٣ .

(٢) خير الله طنوس خير الله – حول المسألة الاجتماعية والتربوية في سورية ترجمة ميشال ابي فاضل ، وسمير الحايك . دار الصحافة للطباعة والنشر – طرابلس ، ط٢ ١٩٨٤ . ص ٣٥

(٣) نعيم اليافي – التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث ،١٨٧٠–١٩٦٥ اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٨٢ . ص ٣١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معا .

فقد كانت الأسرة في الريف – وما تزال – وحدة اقتصادية واجتماعية ، يعمل أفرادها معا في سبيل تأمين معيشتهم ، كل حسب قدراته، وفي ظل هذا الوضع عملت المرأة في مختلف المجالات. فلم يقتصر عملها على الاعمال المنزلية ،بل تعداه الى الفلاحة ، والحصاد ، والاحتطاب، والحياكة والنسيج ، وفي مجمل هذه المهمات تساعدها ابنتها، ويساعدها الأبناء خارج البيت على الأغلب ، في مهمات الفلاحة والسقاية ، والرعي ،ورش المزروعات . (١)

وانعكست هذه الظروف التي تعيشها الاسرة الريفية ، على وضع المرأة ومكانتها . فقبل الاستقلال دفعتها ظروف المعيشة إلى العمل في الحقول من الصباح حتى المساء يدفعها الى ذلك الحاح صاحب الارض على فلاحيه بضرورة انهاء القطاف ، او الحصاد ، في الوقت الذي يحدده لهم . تاركه أطفالها يتضورون جوعا في البيت ، لا يجدون من يرعاهم– إلا نادرا –، فأمهم تعمل في الحقل ،وشقيقتهم تساعدها ، أو تعمل خادما في البيوت .

وأحيانا كانت تشب وتكبر دون أن ترى أهلها ، وأحيانا تضيع ولا يرونها أبداً . وتبقى تعمل

لسنوات طويلة . وإذا كانت ظروف أهلها سيئة ،فكثيراً ما كان والدها يأخذ أجرتها لسنوات ، لتبقى رهينة عند أسيادها تخدم دون شفقة أو رحمة (٢) .

ورغم كل ذلك نستطيع القول أن القيود التي كانت مفروضة على تحركها أقل من تلك المفروضة على بنات جنسها من الطبقة الوسطى ، وذلك بحكم الضرورة . فالمرأة الريفية ، سواء أكانت زوجة او ابنة ، لا تحجب عن رجال القرية ، فهي تساعد في الاعمال الزراعية في الحقول، مثل جني المحصول ، وازالة الأعشاب الضارة ، واحضار مياه الشرب للبيت وتجميع روث البهائم ، وحمله على رأسها ليستعمل كوقود او بغرض التسميد (٣)

أما بالنسبة للفتيات اللواتي تمتعت أسرهن بنوع من الثراء ، فعلى الرغم من أنه اتيحت لهن

---

(١) نجاح العطار – وضع المرأة في سورية . المعرفة السورية . العدد السادس والستون بعد المائة . كانون الأول ١٩٧٥ . ص ٦٩

(٢) انظر امل دكاك ، وسلمى كامل – دور الصحفية العربية في التنمية الاقتصادية . ص ٦١ .

(٣) سلوى الخماش – المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف . دار الحقيقة – بيروت ط١ ١٩٧٣ . ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرص للتعليم ، إلا انهن لم يمنحن الحرية الكاملة، وبقين محاطات بسور العادات والتقاليد . وفي أحيان كثيرة امتنع آباؤهن عن تزويجهن خارج الاسرة لاعتبارات معينة [١] .

ونتيجة لانهماك الفتاة الفقيرة في العمل خارج البيت للمساعدة في اعالةاسرتها انتشرت الأمية في صفوف المرأة الريفية فقد كان عدد الفتيات الريفيات اللواتي ، ذهبن إلى المدرسة ضئيلا جدا ، وذلك لأسباب عدة لعل أهمها :-

أولا : الفقر الذي كان يمنع الفلاح من ارسال ابنته إلى المدرسة لاضطراره إلى تخديمها لدى صاحب الارض أو غيره من ابناء المدن منذ ان تبلغ السابعة من العمر .

ثانيا : جهل الفلاح ، فهو لا يجد في تعليمها أية فائدة تعود عليهن أو عليه ما دامت ستتزوج من فلاح تعمل معه في الارض كماتعمل في المنزل .

ثالثا : زواج الاناث المبكر في الريف .

رابعا: اصرار المستعمر على الإقلال من افتتاح المدارس في الريف ، لرغبته في اثباته على حالة من الجهل والتخلف . وهذا أدى الى نقص في عدد المدارس المفتوحة [٢]

وقد ساعد الاقطاعي المستعمر، في التقليل من عدد المدارس المفتوحة ، حتى لا يفقد الايدي اللينة التي تقوم بالكثير من الاعمال الشاقة بأجر زهيد .

ولو ألقينا نظرة على نسبة تلميذات الريف في المرحلة الابتدائية إلى مجموع التلميذات ، لاكتشفنا مدى الجهل الذي كان الريف غارقا فيه .

فقد بلغت نسبتهن عام ١٩٤٤ /١٩٤٥ حوالي ٣ر٢٠٪ ،وارتفعت النسبة بعد الاستقلال لتصل في عام ١٩٦٣/٦٢ الى حوالي ٤٢٪ وفي عام ١٩٧١/٧٠ بلغت حوالي ٤ر٤٦٪ [٣]. وهذا الارتفاع المستمر ، يكشف عن التطور الذي أصاب الريف بعد الاستقلال ،مع أنه لم يكن بالشكل الذي نتمناه . إذ بينما تبلغ نسبة السكان الاناث في الريف ٦٣٪ من مجموع الاناث في

---

(١) امل دكاك ، وسلمى كامل – دور الصحفية العربية في التنمية الاقتصادية . ص ٦١

(٢) نبيلة الرزاز – تطور تعليم الاناث في سورية . المعرفة السورية .العدد السادس والستون بعد المائة. كانون الاول ١٩٧٥ . ص ١٢٤

وانظر ايضا ، احمد وصفي زكريا – الريف السوري .مطبعة دار البيان – دمشق ١٩٥٥ الجزء الأول ص ٢٠ .

(٣) مديرية التخطيط والمتابعة والاحصاء – وزارة التربية – دراسة احصائية عن توزيع التلاميذ في المرحلة الابتدائية الرسمية بين المدن والريف ،والذكور والاناث من عام ٦٣/٦٢– حتى عام ٧١/٧٠ . الجمهورية العربية السورية . ص ٤ . نقلا عن نبيلة الرزاز مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية . ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القطر ، فاننا نجد نسبتهن لا تزال حتى ٧١/٧٠ تقف عند ٧ر٤٦٪ [١]

فالعادات والتقاليد ، والجهل ، مازالا يشكلان عائقا قويا أمام اتمام دراستها في المرحلة الاعدادية والثانوية والجامعية . مثلما تحول دون اتمامها الدراسة في المرحلة الابتدائية . وهذا يؤدي حتما الى انتشار الأمية بين صفوفهن . وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا .

وبالمقابل فان حظ الفتاة في المدينة من التعليم كان ، وما زال ، أفضل من مثيلتها الريفية . فقد بلغت نسبة التلميذات في المدارس الابتدائية – في المدينة عام ٤٤/١٩٤٥ حوالي ٧ر٧٩٪ من مجموع التلميذات في المدارس وفي عام ٦٢/١٩٦٣ بلغت حوالي ٣ر٥٧٪ وبلغت عام ٧١/٧٠ حوالي ٣ر٥٣٪ [٢]

فلو أجرينا مقارنة بين عدد التلميذات في عام ٤٤/٤٥ وبين عام ٧١/٧٠ لوجدنا أنها انخفضت في عام ٧١/٧٠ عما كانت عليه عام ٤٤/٤٥ ، وهذا يعود إلى ارتفاع نسبة الفتيات الريفيات، اللواتي يذهبن إلى المدرسة الابتدائية . لكنهامقارنة مع نسبة الريف فهي أفضل بكثير .

فالفرص التي كانت متاحة لتعلمها ، وبالتالي لعملها ، افضل بكثير من تلك المتوفرة للريفية . مع أننا لا ننكر أن نسبة الفتيات اللواتي عملن مدرسات ضئيلة جداً مقارنة مع عدد المعلمين الذين سدوا النقص في المدارس . والاحصائية المتوفرة بين أيدينا ، تدل على ذلك ، فقد بلغ عدد المعلمات في العام الدراسي ١٩٤٤ /١٩٤٥ ، خمسمائة وثمانين معلمة ، بينما بلغ عدد المعلمين ألفا وأربعمائة وأحد عشر معلما ، ويظهر من هذا ان ٦٧ر٧٠٪ من القائمين على التعليم الابتدائي الرسمي كانوا معلمين و ٣ر٢٩٪ منهم كانوا معلمات [٣] وقد بلغ الاجحاف بحقهن ان رواتبهن كانت اقل من رواتب المعلمين .

وقد بلغ عدد مدارس البنات في هذا العام الدراسي ، مائة وست عشرة مدرسة موزعة في جميع أنحاء سورية ، وكانت تسع وعشرون مدرسة منها تحوي معلمة واحدة ، تقوم بتدريس جميع المواد ، للصفوف من الأول الى الخامس الابتدائي [٤]. وهذا يكشف عن الأمية التي كانت متفشية . بين الفتيات في المدينة ، وفي الريف على حد سواء .

فقد كان عدد الطالبات اللواتي كن يذهبن الى المدارس الابتدائية قبل الاستقلال ضئيلاً

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤

(٢) نفسه ، ص ٤

(٣) ساطع الحصري – تقارير عن احوال المعارف في سورية . مطبعة الجمهورية السورية ١٩٤٥ ص ٣٣

(٤) نفسه ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقارنة مع عدد هن بعد الاستقلال .

حيث بلغ عددهن عام ٢٥/٢٤ ، (٤٦٢٥) من أصل (٢١٩٧٠) أي ما نسبته ٢١٪ . وفي العام الدراسي ١٩٢٦/٢٥ ارتفع ليصل الى (٥٥٥٠) من مجموع (٢٢٨٦٠) ، اي ما نسبته ٢٤٪ لترتفع في عام ٣٩/٣٨ الى ٢٧٪ ، وفي عام ٤٤/٤٣ انخفضت الى ٢٥٪ . [١]

وبعد عام من الاستقلال بلغت ٢٦٪ لترتفع بعد عشرين سنة الى حوالي ٣١٪ ، اذ بلغ عددهن في ذلك العام ١٩٦٧ /٦٨ ،(٢١١٤١٧) من مجموع (٦٦٩٣١٥) [٢]

هذا بالنسبة للتعليم الابتدائي ، أما التعليم المتوسط – الاعدادي والثانوي – فقد بلغ عددهن في العام الدراسي ٢٥/٢٤ ، ثماني وسبعين طالبة من مجموع (٦٠٩) ، أي ما نسبته ١٢٪ وفي العام ٢٦/٢٥ بلغت النسبة حوالي ١٣٪ وارتفعت في العام ٤١/٤٠ الى ١٩ ٪ . وفي العام الدراسي ٤٦/٤٥ وصلت الى ٢٤٪ [٣] وبعد عشرين سنة تقريبا وصلت الى ٢٣٪ [٤]

اما بالنسبة للتعليم الجامعي فان نصيب الاناث منه ضئيل جدا ، ففي العام الدراسي ٢٤/٢٣ لم تدخل الجامعة اية فتاة ، لكن في العام ٢٥/٢٤ انتسبت خمس فتيات للجامعة ، وفي العام ٣٠/٢٩ بلغ عددهن تسعا وعشرين طالبة . ووصل عددهن في عام ٤٦/٤٥ الى ثمان وستين طالبة، وارتفع عددهن بشكل ملحوظ بعد عشر سنوات تقريبا ، ليصل في العام الدراسي ٥٨/٥٧ الى الف وثلثمائة واثنتين وسبعين طالبة [٥] وهذا يعكس ، التطور الذي حدث بعد الاستقلال ، لكن النسبة ما تزال دون المطلوب ، وسبب ذلك يعود الى تدني نسبة الفتيات المنتسبات الي المدارس في الريف ، اضافة الى تسربهن من المدارس ، في الريف والمدينة معا .

وهذا التسرب يؤدي الى اختلال التوازن ما بين تعليم الذكور والاناث ، حيث ان نسبة تسرب الاناث في المرحلة الابتدائية لا يستهان بها . ويبلغ تسربهن ذروته في الصف الخامس

---

(١) ساطع الحصري ، حولية الثقافة العربية – السنة الاولى – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٨٢

(٢) المكتب المركزي للاحصاء – المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٧ . السنة العشرون الجمهورية العربية السورية . مطبعة الحكومة – دمشق ١٩٦٩ . ص ٣١٥

(٣) ساطع الحصري – حولية الثقافة العربية ،السنة الاولى . ص ٨٤

(٤) الكتب المركزي للاحصاء – المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٧ .ص ٣١٨

(٥) ساطع الحصري – حولية الثقافة العربية – السنة الثانية ٥٠ /١٩٥١ . دار الرياض للطبع والنشر . ب .ت ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابتدائي .

فقد بلغت نسبة تسربهن في العام ٦٥/٦٦ ٢ر٦٪ ، وفي العام ٦٦/٦٧ ٣ر٦٪ ، وفي العام ٦٩/٧٠ بلغت ٢ر٦٪ لكنها في السنوات التالية انخفضت تدريجيا ، اذ بلغت في العام ٧٠/٧١ ، ٤ر٣٪ وفي عام ٧١/٧٢ ٩٦ر٢٪ وفي العام ٧٢/٧٣ ١ر٤٪[١] . فالتسرب موجود لكن النسبة آخذة في الانخفاض التدريجي .وترتفع النسبة في المرحلة الاعدادية والثانوية ، مع أننا لاننكر آن عدد الطالبات في هذه المرحلة تضاعف حتى عام ٧٣ /٧٤ بمقدار ١ر٦ر٣٩ مرة عما كان عليه في العام ٤٤/٤٥ اذ كان (٣٠٨٧) فأصبح (١٢٢٣١) .

فلو ألقينا نظرة على نسبة المسجلات من الاناث في المرحلة الاعدادية إلى من هن في عمر هذه المرحلة ، لتبين أنهن لا يزدن في عام ٧٠/٧١ عن ٢٧٪ وهذا يعني أن هناك ٧٣٪ من الاناث يحرمن حتى الآن من الدراسة في المرحلة الاعدادية .

أما في المرحلة الثانوية في العام ذاته فلم تزد نسبة المسجلات عن ١٢٪ وهذا يعني ان ٨٨٪ من الاناث اللاتي هن في سن هذه المرحلة يحرمن الدراسة فيها .[٢]

والأسباب لذلك متعددة منها : الزواج المبكر، والفكرةالتي لا تزال سائدة في المجتمع من ضرورة تفرغ المرأة للعمل المنزلي ، وبعد المدرسة عن السكن في الريف [٣]

والتسرب من المدرسة ،يؤدي حتماً ،إلى تفشي الأمية بين صفوفهن بشكل كبير . ونسبة تفشيها قبل الاستقلال كبيرة جدا، لكنني لم أستطع الحصول على أرقام تساعدني في تقديرها ،وكل ما استطعت الحصول عليه، هو نسبة الأمية بين الاناث بعد الاستقلال بسنوات .

فقد بلغت نسبة الأمية في الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٧١ حوالي ٥١٪ وارتفعت في العام ٧٣/٧٤ لتصل الى ٧٧٪[٤]

وأكبر نسبة للأمية ، هي بين النساء العاملات ، فقد بلغت عام ١٩٧٠ حوالي ٧٦٪ ، وهي

---

(١) مديرية التخطيط والمتابعة والاحصاء – وزارة التربية – دراسة الاستيعاب في مراحل التعليم المختلفة لعام ٧٠/٧١ . الجمهورية العربية السورية . ص٣ . نقلا عن نبيلة الرزاز – تطور تعليم الاناث في سورية . ص ١٢٩

(٢) نبيلة الرزاز – مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية ضد الاستقلال ١٩٧٥ ص ٤١ – ص ٤٣

(٣)نبيلة الرزاز – تطورتعليم الاناث في سورية . ص ١٣٣

(٤)محيي الدين صابر – الأمية مشكلات وحلول . المكتبة العصرية – صيدا –بيروت . ١٩٨٦ ص ١٤١ ، ص ١٤٢ نقلا . عن مؤتمر الاسكندرية الثاني ١٩١٨ . ص ٢١ ومأخوذ اصلا عن دائرة الاحصاء العامة ، المجلد الأول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسبة عالية ،تكشف عن معاناة المرأة العاملة من الأمية ، التي تحول بينها وبين زيادة انتاجيتها بصفة عامة. كما تبقيها في اسفل سلم العمالة ولذلك لا تستطيع المرأة العاملة المساهمة الحقيقية في الصناعة الحديثة التي تتطلب مستوى عاليا من الأداء والمعرفة والمهارة [١] . والشئ المحزن ان الامية مازالت متفشية بين الاناث رغم زوال الاحتلال ، الذي كان له الدور الفعال في زيادة الجهل بين ابناء الشعب السوري الذي منعهم من ارسال بناتهم الى المدراس .

ورغم ذلك فاننا لا ننكر أهمية الجهود التي تبذل لمحو الامية ، والتي تركز على فتح المقرات اللازمة لمحو الامية في المدن وفي الريف على وجه الخصوص ، الذي يعاني منها بشكل كبير .

فقد بلغ عدد الدارسات في صفوف محو الامية في العام ٧١/٧٠ (١٨١) وفي العام ٧٢/٧١ (٨٧٣٤دراسة) ، وفي العام ٧٣/٧٢ (٦٣٤٧) وفي العام ٧٣/(٩٨٤٧) ، فالأعداد في تزايد مستمر [٢] . والأمل بمحو الامية التدريجي بين النساء يزداد .

ويمكننا القول ان الأمية لم تحل بين الفتاه والعمل ، إذ عملت المرأة السورية في مختلف القطاعات الانتاجية ، وتنوع عملها ما بين الزراعة والصناعة وقطاع الخدمات الحكومية والادارية ، والتغيير والبناء . ولم تكن نسبتهن مرتفعة فقد لعبت العادات والتقاليد ، دورا في خروجهن للعمل لكنها ازدادت بعد مرور سنين على الاستقلال لكن تبعات الاسرة وتربية الاطفال كثيرا ما تقف عائقا دون عمل الاناث . لذا ترتفع نسبة اسهام المرأة في القوة العاملة حسب الحالة الاجتماعية . فهي مرتفعة في صفوف غير المتزوجات ، ومنخفضة في صفوف المتزوجات .

فلو نظرنا الى العام ١٩٦٠ ، لرأينا ان نسبة العاملات من غير المتزوجات بلغت ٦ر١٥٪ ، في حين بلغت نسبتها بين المتزوجات ٦ر٥٪ [٣] وبشكل عام فاننا نستطيع القول ان نسبة العاملات من القطاع النسائي في ارتفاع مستمر . ففي العام ١٩٦٠ بلغت نسبتهن ١ر٧٪ وارتفعت في العام ١٩٧٠ الى ٢ر٨٪ ، اما في العام ١٩٧٤ فقد وصلت الى ٨ر١١٪ [٤]

---

(١) ملكة ابيض – التربية المقارنة والتربية في الوطن العربي .مطبعة جامعة دمشق – سورية ١٩٨٥. ص٩٥

(٢) محيي الدين صابر – الامية ، مشكلات وحلول . ص ١٤٥

(٣) المكتب المركزي للاحصاء – المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٠ – سورية . نقلا عن نبيلة الرزاز – مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية . ص ٩٤ .

(٤) المكتب المركزي للاحصاء – تعداد السكان سنة ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٤ . سورية .نقلا عن نبيلة الرزاز – مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية .ص ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشئ اللافت للنظر ان نسبة اسهام المرأة في قوة العمل في الريف ، تزيدعن نسبة اسهامها في المدينة . فقد بلغت نسبتها في العام ١٩٧٠ ، ٦ر١٠٪ بينما لم تزد في المدينة عن ٦٪ (١)

والسبب في ذلك يعود الى اعتماد الريف على الزراعةفي معيشته ، لذا تساهم المرأة في أعمال الزراعة .

ومع كل ما قلناه عن المرأة السورية ، فاننا لا نستطيع انكار مشاركتها في الوقوف ، في وجه المستعمر الفرنسي ، منذ أن أقر انتدابه لسورية . فالانتداب لم يستطع ان يقتل روح النضال فيها ، بالرغم من قدرته على ترسيخ الجهل والفقر بين صفوفها .

فلقد ساهمت في المظاهرات ، وتضميد الجرحى ، وخاضت المعارك التي خاضها الرجال، وقد صور جميل علواني في كتابه – نضال شعب وسجل خلود – بعضا من بطولاتهن. حيث وصف بطولاتهن في معركة جبل الزواية سنة ١٩٢١ : «ورغم تفوق القوات الفرنسية بعددها وسلاحها على سلاح الثوار الذي يقتصر على البندقية فقط، فقد اصيبت بهزيمة منكرة، وماكاد المساء يقترب ، حتى انسحبت من حيث أتت تاركة في ساحة المعركة سبعين قتيلا ..، وكان لنساء الجبل الاشم في هذه المعركة القدح المعلى ، اذ اظهرن من الشجاعة والاستهانة برصاص الأعداء وقنابلهم ، ما يسجل لهن بمداد الفخر ، فكن ينتقلن في خطوط القتال ، بين صفوف المجاهدين ، يحمسنهم بأهازيجهن ، ويقدمن لهم الماء والعتاد ، وكان بين شهداء المجاهدين في هذه المعركة ، المجاهد أبو عدلة ..، وكانت أخت هذا البطل في مقدمة نساء الجبل اللواتي اظهرن البطولة »(٢) وتوالت بطولات النساء ضد الفرنسين ، وتنوعت ، فمن الاشتراك في المعارك إلى نقل السلاح ، وحمل الرسائل ، وتوفير المؤونة للثوار . وقد استشهد الكثيرمنهن.

وفي الاضراب الخمسيني سنة ١٩٣٦ ، ساعدت على صمود المضربين ، بجباية التبرعات وتوزيعها على العمال المضربين ، ولم يقتصر عملهن على هذا بل كن يتقدمن المظاهرات ، ويحرضن على المقاومة ، ويؤلفن الجمعيات والمنتديات النسائية للدفاع عن حقوق امتهن ووطنهن، غير مباليات بالأخطار التي يتعرضن لها، وبالاعتقال وبقسوة المستعمر ، هذا بالاضافة

---

(١) المكتب المركزي للاحصاء – المرأة بين الماضي والحاضر . سلسلة الدراسات رقم ١٠٦ سورية . ص ٧٦ . نقلا عن نبيلة الرزاز – مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية ص ٩٧ .

(٢) جميل علواني – نضال شعب وسجل خلود . مطبعة الأداب والعلوم – دمشق ١٩٧٣ . ص ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى السيدات اللواتي اشتركن بالثورات المسلحة، وخضن المعارك الى جانب الرجال [1]

والحديث عن مشاركة المرأة في النضال ضد المستعمر يطول ، وقد اكتفيت بايراد بعض الشواهد التي تدلل على مدى مساهمتها في الكفاح لطرد المستعمر. فلم تكن العادات والتقاليد، تمنع النساء عن النضال ، فما يصيب أبناء وطنها من الرجال يصيبها ، لذا لم يقف في وجهها أي عائق يمنعها من تأدية واجبها الوطني .

وفي النهاية يمكننا القول إن وضع المرأة السورية بشكل عام يحتاج إلى الكثير من العناية والاهتمام . لذا لا بد من اختيار الاساليب التي يمكن من خلالها وضع برامج انمائية ،تساهم في دعم مشاركة المرأة في مختلف المجالات .

فالمرأة نصف المجتمع ،ومساهمتها الفعالة في مختلف الشؤون الحياتية تزيد من تقدمه وتجعله قوياً متجدداً لا تهدر الطاقات فيه .

(١) نفسه ،ص ٣٦٣ وانظر ايضا ص ٣٥٧ ، ص ٣٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول :

صورة المرأة في روايات حنامينه

١- موقف حنامينه النظري والفني من المرأة .

٢- صور المرأة :-

أ- صورة الأم - الزوجة .

ب- صورة الأرملة .

جـ - صورة الاخت.

د- صورة الابنة .

هـ- صورة القريبة .

و- صروة الحبيبة .

ز- صورة المومس الفاضلة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- موقف حنّامينه النظري والفني من المرأة :-

لابد لمن يريد دراسة صورة المرأة في روايات حنا مينه من معرفة موقفه النظري من المرأة، ومدى انعكاسه على موقفه الروائي .

فحنامينه يرى أن وضع المرأة العربية تغير بصورة حاده ، بعد الحرب العالمية الثانية، وأن المرأة تحررت اقتصاديا بالعلم والعمل ، وهذا هو طريق تحررها الصحيح ، أما بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد كانت هناك محاولات يسيرة متفرقة لتحريرها ، وكانت الجمعيات النسائية في مصر والشام محصورة بأعمال البر والخير ، دون اقتراب من السياسة ، أو دون اقتحام ميدان النضال السياسي والاجتماعي ، لأن الظروف لم تكن مهيأة لهذا الاقتحام ، لافتقار الوطن العربي الى الأحزاب العقائدية ، وإلى فكرات الاشتراكية ، ومنها وبها تتحرر المرأة كما الرجل .

فلما كانت الحرب الثانية في نهايتها اخترق الفكر الاشتراكي الحواجز وكانت هناك انتفاضات وثورات عربية على مافيها من نقص ، مهدت لان تحرزالمرأة العربية بعض الحقوق ، وتحقق بعض المكاسب ، وتنجح في الثلث الاخير من هذا القرن وبمساعدة الرجال المتنورين في شغل مناصب عديدة (١) .

لكنني لا أتفق مع كل ما ذهب إليه حنامينه ، فالمرأة ،حسب رأيي ، لم تتحرر اقتصاديا حتى وقتنا الحاضر ، والتحرر الذي يذكره كان على نطاق ضيق جدا بعد الحرب الثانية . وبالنسبة لقوله إن الجمعيات النسائية كانت أعمالها محصورة بأعمال الخير ، فهذا كلام ليس دقيقا لانه أنكر بذلك الدور النضالي للمرأة ، ضد الانتداب مع أنني لا أنكر أن وضع المرأة الآن أفضل بكثير عما كان عليه قبل الاستقلال .

وأتفق معه في رأيه القائل ، ان المرأة ماتزال نصف مجتمعنا المشلول ، والمعطل تقريبا ، بسبب مجتمعنا الذكوري الشرقي ، الذي يقف فيه الرجل وقفة عنترية من المرأة ، رغم هذا البعد البعيد عن الجاهلية ، مع أن المرأة تعتبر معيارا حضاريا بالنسبة للرجل ، في موقفه السلبي والايجابي منها ، ومع أن نقلة التقدم التي قمنا بها ، كانت تقتضي أن يأتي أفضل الرجال الى صف المرأة في كفاحها الشاق الطويل لأجل التعلم والعمل ، أي لأجل تحررها الاقتصادي ، وهذا لا يتأتي إلا بتحررها من التبعية والخنوع ، ومن ظلم الرجل ، وأسر المجتمع ، لترغم الرجل

---

(١) من رسائل حنامينه الى الباحثة ٣/٥/١٩٩٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الاعتراف بحقها ، وتصبح سيدة مصيرها ، ويضطر المجتمع الى تغيير نظرته اليها [١]

ورغم اتفاقي معه ، الا ان كلامه هذا مناقض تماما لما قاله سابقا ، فهو يعتبر ان المرأة تحررت اقتصاديا ،واجتماعيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان هذا بفضل بعض الرجال المتنورين !! ، وبفضل الاشتراكية ، لكنه فيما بعد يعترف ان المرأة ما تزال تابعة للرجل اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه ما يزال عقبة في طريقها ، لأجل التحرر . فما تفسير هذا التناقض الغريب؟!!

فكأنه في كل لقاء صحفي يقدم رأيا مخالفا عما كان قد أدلى به سابقا فقد صرح في أحد اللقاءات الصحفية التي اجريت معه قائلا : « انني لا أعيش للمرأة ، لكن ليس بدونها ايضا،ولا اكتب لها أو عنها ، لكنها هي في كتاباتي فعل كقضية الوجود التي نمارسها .» [٢]

وفي مكان آخر يقول ان المرأة في كل رواياته في الصدارة ، قولة الزير سالم في مجراويته ، هي السيدة ، منها ولهاكل شئ ، هي القضية ، المرأة توأم القضية ، وأنا صاحب قضية ، والمرأة اساس في قضيتي . [٣]

فكيف تكون المرأة بالنسبة اليه قضية ، وتوأم القضية ، وقضية الوجود ، واساس في قضيته!! وهو لا يحاول ابراز الصورة المشرقة للمرأة .

وأراني اتفق مع الرأى القائل باننا « نلمس فرقاً واضحاً بين أعمال حنا الابداعية، وبين تصريحاته الصحفية ، ومقالاته المتنوعة ، بالنسبة لموضوع المرأة ، كما نلاحظ ازدواجيته تجاه المرأة . ففي حين كان موقفه منها يتسم بالمحافظة في أعماله الابداعية ، نجده شديد الدفاع عنها وعن قضاياها في مقالاته وتصريحاته الصحفية »[٤]

مع أننا لا ننكر أنه في بعض الاحيان ،رسم الصورة الصادقة للمرأة في الفترة الزمنية التي

---

(١) من رسائل حنا مينه الى الباحثة ١٩٩٢/٢/٢٩ .

وانظر ايضا ، حنامينه – حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية . دار الفكر الجديد – بيروت ط١٩٩٢ ص ١٤٦

(٢) حنا مينة – هو اجس في التجربة الروائية . دار الآداب – بيروت ،ط٢ ١٩٨٨ . ص ١٤٢.

(٣) حنا مينه – كيف حملت القلم . دار الأداب – بيروت ، ط١ ١٩٨٦ ص ٢٦٠ .

(٤) مرادكا سوحة– الرؤية الايديولوجية والموروث الديني في أدب حنا مينة . دار الذاكرة – حمص ط١ ١٩٩١ . ص ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحدث عنها ، فهو يصورها قوية ، لكنه لا يصورها غير مضطهدة [١] ، بل هي ضحية وشهيدة في مجتمع جاهل ، متخلف ظالم ، لانه مجتمع ذكوري ، ناضلت فيه المرأة نضالا عنيدا ، بوعي تارة ، وبغير وعي طورا ، كي تسهم في تقدمه .

وصورتها- كما يقول – في رواياته رحيبة الى درجة ان لهاقوسا واسعا ، تندرج بين نهائيته اوضاع المرأة في حالاتها المختلفة . فنجد نماذج كثيرة للمرأة . مثل الأم الطيبة المتفانية في سبيل عائلتها ، الحاملة كل وزر واثام زوجها الصابرة على شذوذه العائلي ،مثل الام في « بقايا صور » – تقابلها المرأة التي لا ترفض سيطرة الرجل العاطفية فقط ، بل تروضه الى درجة تحويله من وحش الى انسان ، مثل شكيبة في « الياطر» ،وهذا ما سنوضحه عند حديثنا المفصّل عن صورة المرأة في رواياته.

فالمرأة في كل الحالات ، تتبدى ضحية ظروف اجتماعية ، وتقاليد سلفية ، وسلطة زوجية ، مستمدة من حقه كرجل قوام على المرأة في مجتمع ذكوري . غير أنها في كل هذه الحالات تبدو بهية ، وفي قلب اللوحة الاجتماعية السوداء ، لحياتها البائسة، تتبدى روحها بقعة مشعه ، فالعاهرة – حسب رأيه –في صدق سلوكها ، أكثرأخلاقية من الذين يزنون ويستترون [٢] فهي وليدة ظروفها الاجتماعية . لذلك هي في نظره بريئة ، وقديسه ، والرجل هو المذنب ، بحكم دوره الذكوري في المجتمع ، فالرجل مهماكان عصريا ،وتقدميا ، يظل خائفا من تزمت المجتمع ، وتقاليد البيئة .

ولن اخوض طويلا في مناقشة رأيه هذا ، وجل ما أريد قوله ، ان المرأة هي التي تختار الطريق الذي تسير فيه ، وليس صحيحا ان المجتمع ممثلا بالرجل ، هو الذي ، يجبرها على ممارسة ما هو مرفوض اخلاقيا.

وبما أنه يعتبر من الروائيين الواقعيين ، فانه قام – كما يقول – في رواياته برصد « الامكانية الغافية » ، لدى المرأة السورية في بعض المراحل من القرن العشرين ، «بقايا صور»، «الياطر» ، «الشمس في يوم غائم» « المرصد» – لكنه تجنب اسقاطها حيث لها وجود . فالمرأة السورية لم تخرج من الحريم الا حديثا ، وتدريجيا . بدءاً من أربعينات هذا القرن ، ولم يسمح لها بالعلم والعمل ، الا بعد دخول النصف الثاني من قرننا ، لذلك فان يقظة امكانيتها الغافية تأخرت ، وهي

---

(١) حنا مينه – حوارات واحاديث في الحياة والكتابة الروائية . ص ٢٦٠

(٢) انظر نفسه ، ص ١٢٩ ،ص ١٣٠ ، ص ٢٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معدومة تقريبا قبل الخمسينات . [1]

وسنحاول في دراستنا لصور بعض النماذج النسائية ، رؤية صورتها كما رسمها في رواياته التي تتحدث عماقبل الاستقلال ، مقارنه بصورتها في الروايات التي تتحدث عما بعد الاستقلال، في الخمسينات ، والستينات وهذا فيما يتعلق بصورة الام ، والزوجة ، والاخت ، والأرملة ، و..

أما صورة الحبيبة وصورة المومس ، فقد ارتأينا تناولها بصورة مغايرة . وسنحاول فيما يأتي جلاء صورة المرأة وتحليلها كما تتضح في رواياته . ولن نغفل ذكر اية امرأة في الروايات ، واذا برزت صورة الام مثلا في رواية ، ولم نتحدث عن صورتها في . رواية اخرى . فالسبب في ذلك انه لم تظهر صورتها في تلك الرواية ، والكلام نفسه يقال عن صور المرأة الأخرى.

(١) حنا مينه – حوارات وأحاديث . ص ١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- صورة المرأة :-

أ- صورة الام - الزوجة -:-

تعتبر الأم اسطورة التفاني والعطاء ، تمنح الحبّ والحنان دون حدود وبلا مقابل ، وتعطي من العطف والاهتمام ، ما يعجز الآخرون عن اعطائه . فلقد جعلتها الطبيعة الصندوق المقدس ، الذي تتكون فيه الحياة في طورها الأول ، ثم المهد الذي تنمو فيه الحياة وتترعرع ، ثم الدّوحة الظليلة التي تغمر الفرد ، فالأسرة ، فالمجتمع بظلال العناية والرأفة والحنان .

ولقد أولى الروائيون بشكل عام، الأم عناية خاصة ،إذ أبرزوها بصورة تعكس ما تفعله من أجل اسعاد أبنائها . وهذا ما نلاحظه في عالم حنا مينه الروائي .

فالأم في عالمه لهاتفردها الخاص ، ومكانتها المميزة ، بحيث يظهرها ذات شخصية انسانية متميزة . فالصورة الايجابية المطلقة هي للأم،التي تضحي بسعادتها ، وبصحتها في سبيل ابنائها . فقد يحدث آن يكون وضع اسرتها الاقتصادي سيئا ، أو قد يكون الأب عابثاً ، لاهياً، لا يتحمل مسؤولية أسرته . أو قديتعرض زوجها للسجن ، أو الموت . مما يدفعها إلى تحمل مسؤولية ابنائها ، فتعمل وتشقى لتوفر لهم نفقات عيشهم ، وتعليمهم ، حتى لو دفعها ذلك إلى العمل خادمة في البيوت .

وسنحاول فيما يأتي تتبع خطى الأم في عالم حنا مينه الروائي . وذلك من خلال تتبع صورتها في الروايات التي تدور أحداثها في العشرينات ،والثلاثينات والأربعينات من هذا القرن – «والمصابيح الزرق» ، و«الشمس في يوم غائم» ، «بقايا صور» ،« المستنقع » ،« القطاف» ، »نهاية رجل شجاع»، « الولاعة » ، « حكايةبحار»، « الدقل » ، و«المرفأ لبعيد» –، ومقارنتها بصورتها في الروايات التي تدور أحداثها في الخمسينات ، والستينات ، والسبعينات ، – «حمامة زرقاء في السحب . « ،«الثلج يأتي من النافذة » و « مأساة ديمتريو » ، و « المرصد » .

بداية نستطيع القول إن صورتها في روايات ما قبل الخمسينات ، ظهرت على أنها خاضعة لسيطرة الرجل ، إلى درجة أنها لا تستطيع محاسبته على أفعاله حتى لو لم تكن صحيحة ، فعادات المجتمع ، وتقاليده تجبرها على عدم الوقوف في وجهه .وتجسد هذا في شخصية أم الفتى في «الشمس في يوم غائم » ، وأم مفيد في « نهاية رجل شجاع » ، والأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و « المستنقع» و«القطاف » ،وأم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار» و « الدقل » و « المرفأ البعيد » .

فأم الفتى – هكذا ورداسمها – في « الشمس في يوم غائم » « تقليدية »« مستسلمة قانعة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درجت على رؤية الحياة بلونها الذي تراه ، فلا تحس بوجوب تغييره ، فهي تعيش كل شئ في ضوئه »[١] ومن هنا فهي راضية ببقائها في البيت ، لا تختلط سوى براقصات التانغو . فقد يذهب زوجها إلى دجاجة أخرى ، ربما أقل منزلة منها، لكنه نهاية يعود إلى دجاجته الاصلية .وهي راضية بذلك ، لأنها تسير وفق العادات والتقاليد التي ترضاها طبقتها ، والمجتمع . فزواجها كان تقليديا ، ابنة اقطاعي كبير تزوجت من اسرة اقطاعية اخرى .

وهي مثال للطاعة العمياء ، إذ توافق زوجها في كل ما يقوله . ولا تستطيع الوقوف في وجهه ، لأن طاعته واجبة . فهو المعيل لها ولأبنائها . وبسبب هذه التقاليد ، لا تستطيع محاسبته على افعاله ، فليفعل ما يشاء ، وليذهب إلى المرأة ذات العينين السوداوين ، ما دام سيعود اليها . فمركزه الاجتماعي لا يسمح بفضائح .

لكن سكوتها وخمولها ، ورضاها عما يحدث حولها ، جعلها سلبية بنظر ابنها ، الذي تمنى أن تكون مثل عشيقة الوكيل ، ذات شخصية قوية ، تتحدى الواقع المفروض . فخضوعها لسيطرة المجتمع ممثلا بالرجل ، دفعها إلى صفع المرأة ذات العينين السوداوين – ويبدو أن تصرفها هذا نابع من نظرتها السوداوية الطبقية – لكنها اضطرت ، فيما بعد ، أن تغير موقفها منها . فمن منطلق حبها لابنها طلبت منه احضارها إلى البيت ، لتعتذر منها . وتطيب خاطرها ، باعطائها هدية ، «اشفاقا عليه وخوفا من المرأة أن تنتقم ». [٢]

فالأم هنا تعكس صورة المرأة الراضخة ، المستسلمة لواقعها الذي تعيشه على الهامش . وابنها يتعاطف معها . لأنه لاحول لها ولا قوة ، فقد تربت في مجتمع له تقاليده الخاصة . لذا هي في نظرة مسكينة ، لأنهم سمموها بافكارهم ، إلى درجة أنها أصبحت مثلهم لا يهمها سوى جمع المال ، بغض النظر عن الطريقة . ومن منطلق تربيتها ، لا تستطيع ابداء رأيها في أفعال زوجها اللاأخلاقية ، مثل مغامراته النسائية ، وقتلة للفلاحين لأتفه الاسباب . ولا تستطيع أيضاً ابداء رأيها في زواج ابنتها ، رغم علمها أن خطيبها غير مستقيم .

والكلام نفسه ينطبق على الأم في ثلاثية «بقايا صور» ، « والمستنقع » ، و « والقطاف » رغم أن الطبقة المنتمية إليها تختلف عن طبقة الأم في « الشمس في يوم غائم » ، فصورتهما تعكس طبيعة المجتمع في تلك الفترة ، من خلال العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، التي

---

(١) ابراهيم السعافين – صورة المرأة في روايات حنا مينه . مجلة الاقلام . العدد التاسع، السنة الخامسة عشرة . حزيران ١٩٨٠ . ص٢٥ .

(٢) حنا مينه– الشمس في يوم غائم ، دار الآداب – بيروت . ط ٥ ١٩٨٨ . ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منحت الرجل الدور السلطوي التنفيذي ، ويتضح هذا ، بشكل خاص في تجسيد حنامينه لصورة الأم والزوجة .

فهي تمثل الأم الطيبة ،المستسلمة ، الخائفة ، المتدينة ، والساذجة . وطيبتها هي التي منعتها من الحقد على من يستأثرن باهتمام زوجها ولياليه ، وربما خوفها أيضا منعها من محاولة مناقشته في هذا الأمر ، لأنها ستتعرض للاهانه والضرب . فلذلك لم تحقد على ابنة عمها التي خطفت زوجها ، وسافرت معه إلى مصر . ولم تحقد أيضا على الأرملة ، عشيقة الوالد ، فقد أحبتها ، رغم سلوكها المشين – « بقايا صور » – لأنها الوحيدة التي وقفت إلى جانبهم اثناء مرضها وأولادها ، حينما كان الوالد مسافرا. ولم تحقد على زنوبة ، عشيقة الوالد الثانية ، فقد أحبتها ، واعتبرتها مثل أختها.

فقد كان عليها دائما تحمل نزوات زوجها النسائية ، فهو الرجل ولا مجال لمناقشته ، وهذا ما تجسد أيضا في « القطاف » ، فقد بدأ ليلتة الاولى بعد وصولهم للاذقية – اثر تركهم الاسكندرونه بعد تسليمها لتركيا – بمغامرة مع أرملة لعوب تدعى غندف ، ورغم رؤيتها لما حدث ، الا انها لم تظهر لزوجها معرفتها بهذا الأمر ، وطلبت من ابنها الذي كان شاهدا على ما حدث ، ألا يكون حقودا ، « فالمسيح منحنا المغفرة ، وطلب منا ان نغفر لمن اساء الينا ..، كن مسيحيا ، مسيحيا حقيقيا يا بني »[1]

ورغم انها مستلبة الحقوق من قبل زوجها ، إلا أنها كانت مرغمة على الرضى ، بوضعها من أجل اطفالها، وكانت تفي بواجبها الزوجي كارهة ، وتضمر عبئا غير قليل على حظها الذي رماها به ، ثم تعزو كل ذلك الى اليتم ، وأنها تزوجت دون حب ، ودون رغبة ، فهي لم تحب زوجها ، وقد قلبها موقفة من النساء والخمرإلى امرأة باردة لا تغار عليه[2]

والصورة نفسها تتكرر في ثلاثية « حكاية بحار » ، و « الدقل » ، و« المرفأ البعيد » فأم سعيد تمثل صورة الأم التقليدية ، الخاضعة لزوجها . فنادراً ما كانت تشكو ، فهي سعيدة بكونها ربة بيت فقط ، تقوم بالعناية بأولادها وبزوجها الذي تحبه الى درجة أنها كانت على أتم الاستعداد لتلبية كل ما يطلبه ، ولو كان على حساب مشاعرها .

ومثال على ذلك ، امتناعها عن البكاء ، عندما زارته في سجنه ، حسب طلبه، مع انها

---

(١) حنا مينه– القطاف . دار الآداب – بيروت ، ط١ ١٩٨٦ . ص ٣٣

(٢) نفسه ، ص ١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حزينة ،لكنها ايضا ،« أرادت هي البسيطة أن تبدو فخورة »[١] بزوجها الذي سجن من اجل وطنه .لذا طلبت من ابنها عدم البكاء أمام أبيه .

فحبها لزوجها الممتزج بالخوف منه ، ساهم في تكوين سلبيتها، فخوفها عليه من البحر ، دفعها الى محاولة منعه من النزول اليه . لكنه اسكتها بمنطقه ، وغضبه . ولم تحاول مناقشته ، فخوفها السلبي لم يتقدم ليصبح ايجابا ، فالتمرد غير وارد في قاموسها ، وهذا لم يعجب ابنها الذي وصفها « بالقبرة » [٢]

والشئ الذي تختلف فيه أم سعيد عن الام في «بقايا صور» .. ، انها تحب زوجها وفي الوقت نفسه تخاف منه . اما الام في ثلاثية « بقايا صور » و .. فانها تخاف زوجها ولاتحبه ، لكنها تتحمل الضرب لأجل اطفالها .

مثلما تحملته أم مفيد في « نهاية رجل شجاع » ، في سبيل حماية ابنها منه ، والتي هي في الوقت ذاته امرأة طيبة ، ساذجة ، مسكينة وضعيفة امام زوجها .

كانت تتمنى ان يتعلم مفيد ليصبح صاحب مهنة ، لكن قسوة الوالد والمعلم ، وسخرية المختار جعلته يهرب من المدرسة ، والقرية . لم تستطع امه ان تعمل شيئاً ، مع انها حاولت ذلك فكان جزاؤها ، الضرب والتهديد بطردها . مثلما حدث للزوجة المسكينة ، – لم يذكر لها اسم او كنية – في « بقايا صور » ، التي نزل اللصوص على بيتها ليلا واستباحوها . فطردها من بيته ، وراحت تتشرد بين الحقول ، وعندما عادت في احد الايام لرؤية أطفالها ، منعها زوجها من ذلك وطردها ، مع انه لم يكن لها اي ذنب فيما حدث لها [٣] ولم يقف أحد إلى جانبها ، بسبب تأثير الأيديولوجيا السائدة في تلك الفترة ، الى درجة ان الأم ارسلت الطعام ، اليها مع ابنها دون أن تذهب اليها عند البستان ، تدعوها الى بيتها . وذلك خوفا من كلام الناس، إذا هي كلمت ، أو استقبلت امرأة أدانها المجتمع .

وهذه النظرة ما تزال في مجتمعنا حتى الان . وقد نجح حنا مينه فعلا في تجسيد هذه الظاهرة . ومن جانب آخرفقد أبرز في رواياته صورة اخرى للأم ، هي صورة المرأة العاملة التي

---

(١) حنا مينه – حكاية بحار ، دار الأدب – بيروت ، ط ٢ ١٩٨٦ . ص ٢٢٥

(٢) نفسه ، ص ٢٣٤

(٣) انظر ، حنا مينه ، هواجس في التجربة الروائية . ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضطرتها ظروفها الاقتصادية والاجتماعية الى العمل وهذا ما يتجسد لنا من خلال شخصية ام فارس في « المصابيح الزرق » ، والام في ثلاثية « بقايا صور» ، « المستنقع » ، و « القطاف» وأم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار » ، « والدقل » « والمرفأ البعيد » .

فكما هو معروف فان الوضع الاقتصادي لسورية ، في فترة الانتداب الفرنسي كان سيئاً جداً ، فالأعمال غير متوفرة ، والبطالة متفشية ، والناس يكادوا يهلكون من الجوع ، مما اضطر النساء إلى العمل من أجل المساهمة في دفع غائلة الجوع عن اسرهن

فالوضع الاقتصادي المتدهور في فترة الحرب العالمية ،الثانية ، دفع ام فارس الى العمل في الريجي ، حيثد كانت « تجرد عيدان التبغ بحركة آلية تؤديها أصابعها الخشنة المغبرة ، في جو القبو الكبير المستطيل ، حيث ينعقد غبار يتصاعد من كل صوب ، ويتكاثف ذرات ذرات ، فيثقل الهواء ، ويجعله سردابا لا يطاق ، سردابا لا يدري المرء كيف تحيا فيه مئات العاملات يشتهين رؤية الشمس ، ويستنشقن اشعتها اذا هلت منها عبر النافذة .» (١)

فالذي دفع الأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و« المستنقع » و « القطاف » الى العمل ،هو الفقر الذي يعانيه اطفالها ، جراء اعمال زوجها اللامبالية . فركضه وراء الخمر والنساء ، جعله لا ينجح في أية مهنة يحاول ممارستها ، فقد فشل في بيع المشبك ، وتصليح الاحذية ، وبيع الخضار و . . . ولم تجد الام امامها سوى العمل ، مع انه في احيان كثيرة كان زوجها يأخذ ما تكسبه ، ويسرق الملابس ،والادوات المنزلية من البيت ليبيعها ويشتري بثمنها ما يسكره .

فقد رضيت أن تعمل خادما في بيت المختار، وتحملت شتمه لها ، وأن تبيع نصف غذاء ابنها الرضيع لطفل من عائلة ارستقراطية ، ورضيت أن تعمل بناتها خادمات ، مع ان الوالد كثيرا ما كان يستلف على أجرتهن مما يعرضهن للبقاء رهينات عند مخدوميهم لسنوات طويلة ، وهذا الامر لم يهمه كثيرا – وكان يشتري بما يأخذه بعض الادوات لمهنه المتعددة، ويرحل تاركا الام وأطفالها ، لفترات طويلة ، يقاسون ، ويعانون من ظلم المختار وجبروته .

فقد تحملت نزقة وسطوته كثيرا – المختار– إذ قام بضربها بعصاه في أحد الايام ، عندما ذهبت تستجد يه الطعام . ولم تملك حينها الا الذهاب الى بيوت الناس تسألهم ما يسد الحاجة . وتتواصل الاحداث المؤلمة في حياتها – اثناء سكنها في السويدية – لتتراكم احزانها وآلامها . فقد

---

(١) حنا مينه – المصابيح الزرق . دار الأداب – بيروت ط١٩٨٩٦ ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصر المختار على أخذ ابنتها الكبرى رهينة ، حتى يجبر والدها على دفع الدين المترتب عليه ، ولم يجدها الاستعطاف شيئا ، فقد حبسها في الزريبة ، ولولا تدخل زوجه ، التي فكت أسرها بعد أن اقنعتها أن ابنتها ستكون في رعايتها ، لحدث ما لم يكن في الحسبان .

وفي قرية « الاكبر » تتكرر المأساة ، فالوالد رحل تاركا اياهم يعانون من الملاريا والرمد ، حتى أنهم اضطروا إلى شرب بولهم ، وإلى معالجة أعينهم بذر الفحم [١] وفي الاسكندرونه ، ازدادت اعباؤها، فقد رزقت بطفلة ضريرة ، ما لبثت أن ماتت لاحقة باختها التي سبقتها إلى القبر بعدة شهور ، وفجعت بعد ذلك بابنتها الصغرى التي ماتت بعد ولادتها بشهور .

وهنا أيضا عملت خادما لأجل اطفالها ، وفي أحيان كثيرة كانت تضطر ، وبمساعدة ابنها، إلى مزاحمة الخنازير على القمامة ، علها تجد ما يؤكل . وكانت أيضا رغم ما تحس به من ذل ، تقف في طابور الفقراء قبل الاعياد ، من أجل الحصول على السكر والطحين اللازمين لصنع كعك العيد . رغم ما يسبب وقوفها من حرج لابنها امام معلماته وزملائه – إذ كانت المساعدة توزع في المدرسة التي يتعلم فيها ابنها [٢] وبعد رحيلهم الى اللاذقية ، لم يتحسن وضع الاسرة، مما دفعها وأولادها وزوجها الى العمل في قطف الزيتون في احدى القرى [٣] .

وقد عانت ام سعيد في ثلاثية « حكاية بحار » ، و « الدقل » ،و « المرفأ البعيد » ، من الجوع ، مما اضطرها للعمل .

فأثناء وجودها وأسرتها في مرسين –« حكاية بحار» – لم تعمل ، لأن وضعهم الاقتصادي كان جيدا ، فزوجها بحار ويكسب جيداً . لكن بعد انتقالهم إلى الاسكندرونة اضطرت للعمل – « الدقل » – نتيجة ظروفها الاقتصادية السيئة . فزوجها نزل إلى البحر لتعويم صفائح الكاز من الباخرة الفرنسية الغارقة منذ سنوات ، ولم يطلع ،فقد اختفى كليا .

وابنها سعيد سجن ، فلم يكن أمامها سوى العمل ، وقد حازت على تعاطف سعيد لتضحيتها من أجل تربية اطفالها ، « آه كم تعذبت هذه الأم خلال غيابنا ، لقد غدربها الدهر ، زوجها وابنها دفعة واحدة. الزوج في سفر مجهول ، والابن في سجن طويل ، وعليها هي المرأة

---

(١) انظر بقايا صور . ص ١٠١ ، ص ١٠٣ ، ص ١٣٢ ، ٢٣٧ ، ص ٢٣٩

(٢) انظر ، المستنقع ، ص ٦٠ ، ص ٩٠.٩١

(٣) انظر القطاف ص ٥٩ وما بعد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضعيفة ، أن تربي هؤلاء الصغار ».[١]

وبعد انتقالهم الى اللاذقية – بعد تسليم اللواء- عملت في الريجي ، اضافة الى قيامها بالاعمال المنزلية المرهقة . وقد ساهم عملها في تطوير شخصيتها ، فلم تعد تلك المرأة التي تكتفي بالجلوس في البيت ، بل انتقلت إلى مرحلة العمل والكفاح ، والافتخار بهما. فكثيرا ما حاولت بث الامل والشجاعة ، والصبر في نفس ابنها ، –« المرفأ البعيد » ،–عندما كان عاطلا عن العمل . لأنها على يقين أنه سيجد عملا يوما ما . حتى لو لم يجده ، فعليه ان يعتمد عليها ، فهي امرأة عاملة ، مثبتة في الريجي ، وقد ألفته ، ولن تتركه أبدا ،حتى لو عاد زوجها ، مع أنها أصبحت تؤمن أن غياب زوجها واقع يجب أن تتعايش معه ، لذا خفت شكواها. و تغيرموقفها من العمل ، فلم تعد تخجل منه ، « وأصبحت تقول بالفم الملآن : انني اعمل في الريجي ، وأنا مثبته ». [٢] وتتحدث عن العمل كأنها تتحدث عن بيتها وأسرتها بسبب اعتزازها به . وهذا تطور هائل حدث في شخصيتها .

هذا فيما يتعلق بعمل الأم خارج البيت .وسنتحدث الآن عن ، صورتها ما بين الايجابية والسلبية في نظرتها للأمور ، ورؤيتها للواقع . وفي تعاملها مع الاحداث السياسية ، ومدى تفاعلها مع ما يفعله الاخرون – أولادها أو زوجها – ضد الاحتلال ، أو محاولتهم الاستقلال بآرائهم .

ولنبدأ بأم صقر ، وأم فارس في « المصابيح الزرق » ، إذ نجد السلبية متجسدة في شخصية أم صقر ، رغم اننا لا ننكر خروجها للعمل من أجل اعالة ابنها ونفسها .إلا أن سلبيتها منعتها من السماح لابنها بالعمل . فحبها الزائد له ، وخوفها الدائم عليه ، دفعها الى ابقائه في البيت ، فهي على استعداد تام لتحمل التعب والارهاق ، مقابل عدم خروجه من البيت ، واذا خرج كانت تسير وراءه لتعرف اين يذهب !!

وقد اعتاد مع الأيام شذوذها ، وكان إذا ضاق ذرعا بهاهم بضربها ، وعندئذ تبكي ، فيتراجع عنها مغلوبا على أمره . [٣]

وسلبيتها لم تنعكس على ابنها فقط ،بل على الحي بأكمله ، فقد كان لايهمها ما يحدث

---

(١) حنا مينه – الدقل . دار الآداب – بيروت . ط٢ ١٩٨٤ . ص ١١٢

(٢) حنا مينه – المرفأ البعيد . دار الآداب – بيروت .ط٢ ١٩٨٦ . ص ٨٠

(٣) الصابيح الزرق ، ص ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه ، أو المدينه ، حيث كانت تعمل « غسالة ومنظفة بيوت وناقلة ماء لأهل الحي ،تذهب صباحا قبل أن ينشر الفجر قميصه الأبيض ، وتعود في الضحى حاملة طعامها ،وطعام ابنها ، ثم تذهب ثانية، وترجع ظهرا ، وهكذا على مر الايام »[1]

وبعد عودتها تنام ، وفي معظم الاحيان ، تستيقظ من نومها ، لتتأكد إذا ما كان صقر موجودا إلى جانبها . فإذا وجدته ترجع إلى نومها . وقد انعكست سلبيتها على سلوكها اثر ازمة الخبز، فهي لم تفكر بزيارة فارس في سجنه ، ولا بالاشتراك في المظاهرات .

ونحن لا ننكر أن للبيئة التي عاشت فيها ، أثرا في تكوين شخصيتها ، فربما كان في حياتها الماضية ، قبل سكنها في حي القلعة شئ أدى إلى بروخوفها الزائد عن حده على ابنها ، . وقد يكون مبرراً ومفهوماً ، إذا كان نابعاً من خوفها عليه من الانجراف وراء السياسة ،التي قد تؤدي إلى موته ، أو سجنه . لكن لا مبرر لمنعه من العمل، فهل سيبقى عالة عليها ؟!! فعندما تشيخ أو تموت ، ماذا سيفعل بدونها ؟ هل سيبقى جالسا في البيت ينتظرمن يشفق عليه ؟ إنها بسلبيتها هذه تقضى على ابنها ومستقبله.

وعلى العكس منها أم فارس ، فرغم حبها لفارس ، إلا أنها لم تقف في طريقه ، لاعلى صعيد العمل السياسي ، ولاعلى صعيد العمل من أجل توفير لقمة العيش لأسرته . لكنها كانت سلبية ازاء موضوع سجنه ، وتطوعه فيما بعد في جيش الحلفاء . فعندما سجن ، اكتفت بالبكاء ، وكذا فعلت عندما علمت بتطوعه .ولم تحاول منعه ، بل على العكس لم تشعرنا بغضبها عليه ، ولاعلى الاحتلال ، وسامحته ، وصفحت عنه، وقبلته عندما سافر موصية اياه بضرورة الانتباه لنفسه . اما أبو فارس ، فقد كان موقفه مغايراً لموقفها ، فهو لم يسامحه .

ونجد بعض الشخصيات المشابهة لأم صقر في سلبيتها ،من خلال شخصية زوجة الخياط في « الشمس في يوم غائم » ، وأم فرح في « الولاعة » .

فزوجة الخياط الثائر ، صورة مناقضة لصورة زوجها الثوري والمعلم . فهي تمثل الزوجة المستسلمة ، القانعة بما هي فيه ، لا تتطلع للتغيير ، رغم الوضع المأساوي الذي تحياه مقارنة بوضع الاسياد والاقطاعيين . لذا كرهت المرأة ذات العينين السوداوين ، ومن منطلق سلبيتها ازاء الاقطاع والانتداب لم توافق أن يعلم زوجها الفتى ، المنتمي لأسرة اقطاعية ،رقصه الخنجر خوفا

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من غضب والده ، وأسرته .

فلو لم تكن سلبية لوقفت مع زوجها في صف الثائرين على الانتداب ، مثل الكثير من النساء اللواتي وقفن ضد الاحتلال ، وشاركن في المعارك والمظاهرات ، وهذا الشئ لا نجده متجسدا ، في الشخصيات التي تمثل الام في روايات حنا مينة . بل على العكس دائما يبرزلنا المرأة المستسلمة للانتداب ،الخائفة من الاسياد .

وعلى النقيض من زوجة الخياط ، زوجة الاقطاعي • – في الرواية نفسها ، الثائرة على وضعها الذي تعيشه ، حيث لم ترض ان تحيا حياة راقصي التانغو ، لذا منحت نفسها للوكيل ، « وصارت عشيقته برغم الجميع . وكافأته على خدمة املاكها» (١) فهي امرأة تصبو الى التغيير . فرغم موقعها الطبقي المتميز، في تلك الفترة ، إلا انها كانت تحس بأنها مهضومة الحقوق في المجتمع الذي تعيشه . مما دفعها إلى الاحتجاج على وضعها ، لكنه احتجاج على طريقتها الخاصة ، وهذا مرفوض طبعا . مع أن زوجها رضي بذلك ، لان وكيلة سيحمي املاكه ، ولأنه الوحيد الذي استطاع قتل الفلاح الثائر.

وموقف الزوج يكشف عن الخلل الذي أصاب الاقطاعيين في نظرتهم للأمور ، ففي سبيل تحقيق مصالحهم الاقتصادية ، يتنازلون عن اخلاقهم.

أما أم فرح في « الولاعة » فنظرتها السلبية للأمور ، جعلتها ترى الواقع بصورة مغايرة لما يراه زوجها .

فسيطرة لاونديوس على عقلها ، جعلها لا تثق بأحد غيره ، إلى درجة أنها مستعدة لتحدي الجميع ، اذا اتفوهوا بكلمة تنال منه . وقد حدث هذا فعلا ، فقد قامت في أحد الايام بطرد ابنها فرح ، وابنة أخيها فروسيا ، لانهم تجرأوا ، واتهموه انه وراء تلفيق تهمة التحريض ، وتوزيع المنشورات السرية بين صفوف العمال ،لزوجها رزق الله المخزومي .

ومن منطلق سلبيتها ، وتصديقها لكل ما يعظها به صالحها لاونديوس ! كانت تخاف علي ابنها من الانضمام الى الاستاذ صبحي – المدافع عن حقوق العمال – وزوجها . إلى درجة أنها حاولت حشود ماغة بعظات صالحها . فالتفكير بالخطيئة يعني ارتكابها .وقد جنت عندما علمت أنه يفكر بالمرأة ، « ياحبيبي ، الذي أخافه صار ، قم الى الصالح لاونديوس ، قم يا فرح ، لابد

• زوجة الاقطاعي في « الشمس في يوم غائم ، هي ليست أم الفتى في الرواية نفسها

(١) الشمس في يوم غائم ، ص ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من طرد الشيطان من رأسك فورا. [١]

فسلبيتها دفعتها إلى الوقوف في وجه ابنها وزوجها ، ولم يعجبها وقوف زوجها ضد الانتداب ومعاونيه ،على العكس من الأم في ثلاثية « بقايا صور » والمستنقع ، و« القطاف »

فرغم معاناتها ، فإن موقفها من الأحداث التي جرت في الاسكندرونة ، لم يكن سلبيا ، فمع أنها لم تشترك في المظاهرات ،إلا أنها قامت بالمشاركة في تقديم التعازي لأهالي الشهداء . ولم يعجبها موقف زوجها اللامبالي ، واتهمته بالقسوة والجبن .

فموقفها هذا يدل على وعيها بحقيقة ما يجري حولها ، مع أنه وعي يحتاج الى جرأة ، فرغم ادراكها لواقع الانتداب السئ ، إلا أنها لم تشارك في المظاهرات . وخوفها كان فيما بعد سبباً في عدم وقوفها في وجه الشوباصي ،الذي أذل زوجها ، رغم معرفتها بأنه وسيده الاقطاعي ظالما ن.

ونستطيع القول إن تطورا بسيطاً طرأ على شخصيتها ، فعندما ذهبت مع أسرتها إلى قرية «ح» لجمع الزيتون ، رأت الوضع السيء الذي يتعرض له الفلاح ، وأدركت حقيقة وضعهم . ولم يعجبها نسبة العشر التي سيأخذونها لقاء جمعهم الزيتون ، « لكن من يسمع للحق » ؟[٢] وحتى يعيشوا بسلام – كما قالت لأولادها ، يجب عليهم ألا يتحدوا الاقطاعي .

فالتطور الفكري حدث عندها ، لكنه لم يتطور ليصبح عملا ،« فالخوري يقول : مكتوب في الانجيل ، أعطي مالقيصر لقيصر » [٣]

فمن منطلق ايمانها بهذا المبدأ ، لم تحاول مناقشة الوكيل أوالشوباصي ، حتى لا تتعرض أسرتها للطرد ، وبذا تحرم من نطارة البورة ، وتفقد بالتالي حصتها من قطف الزيتون وموقفها هذا أثار حفيظة ابنها الذي قال عنها : « نظرت الى أمي ، أحببتها أكثرفاض الحنان في نفسي اليها ، وتصورتها واحدة من نساء شعبنا اللواتي سيمضي وقت طويل ، قبل أن يستيقظن ويعرفن الحقيقة . إن مباركة امي لأصحاب كروم الزيتون ، لن تزيد في مردودها ، لكن أمي بهذا الدعاء ، تكرس حق الملكية المقدس ، حق الاقطاع الذي يفقرنا ويذلنا [٤] .

---

(١) حنامينة – الولاعة . دار الاداب – بيروت . ط١ ١٩٩٠ . ص ٢٥

(٢) القطاف . ص ٧٨

(٣) نفسه ، ص ٧٨

(٤) نفسه ، ص ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن لها سلاح تواجه به ما تلاقيه من متاعب ، سوى الدموع ، فعندما كانت تتعرض للضرب من قبل زوجها كانت تكتفي بالبكاء . وحتى عندما سجن زوجها بسبب وقوفه إلى جانب بدور المتهمة بسرقة الزيتون ، اكتفت بلطم خديها ، وبالبكاء .

ويبدو ان البكاء سلاح تتسلح به المرأة دائما . فقد تسلحت به أيضا أم سعيد في ثلاثية »حكاية بحار » ، و « الدقل » ، و« المرفأ البعيد » .

فأثناء وجود زوجها في السجن ، بكت عندما زارته ، لكنها اضطرت للكف عنه بناء على رغبة زوجها . واستخدمت البكاء ثانية في محاولة لمنعه من النزول الى البحر ، لكنه أسكتها بمنطقة ، وغضبه ، ولم تحاول مناقشته . فخوفها السلبي لم يتقدم ليصبح ايجابا . فالتمرد غير وارد في قاموسها ، وهذا لم يعجب ابنها الذي وصفها « بالقبرة»[1] لكن دموعها خفت بعد خروجها للعمل ، وانتقالها الى مرحلة . الكفاح المعيشي ، و هذا لا يعني أنها توقفت عن البكاء ، ففي بعض الاحيان كانت دموعها تخونها ، عندما يحدثها ابنها عن نيتة العمل في البحر ، فهي لا تريد أن تفقده كما فقدت زوجها . ودموعها هذه أثارت غضبه ، مثلما أثارت غضب والده من قبل ، « دموع ، دموع ، دموع ، ليس عند امي بعد تلك الحجج سوى الدموع ، ستظل تبكي حتى تغرقني وتغرق نفسها . »[2]

ودموعها هذه لا تعني افتقارها للشجاعة ، بل على العكس ، كانت دائما تحاول بث الامل، والشجاعة والصبر ، في نفس ابنها، عندما كان عاطلا عن العمل .

هذا فيما يتعلق بتجسيد حنا مينه لصورة الام – الزوجة – في الروايات التي تتحدث عن الفترة ما قبل الخمسينات . وسنحاول الآن دراسة صورتها في الروايات التي تتحدث عن الخمسينات والستينات ، بمعنى آخر، بعد الاستقلال .لنرى هل تغيرت صورتها ؟ ، أم بقيت كما كانت قبل الخمسينات ؟!

والروايات التي تتناول صورتها في هذه المرحلة هي ، « الثلج يأتي من النافذة » ، « مأساة ديمتريو » ، «حمامة زرقاء في السحب» ، « المرصد » .

وسأتناول صورتها في هذه الروايات حسب التسلسل الزمني لاحداثها ، لنرى هل تتطور صورتها بمرور السنين ؟ فكما هو معروف فان وضع المرأة السورية تطور تدريجيا بعد الاستقلال

---

(١) حكاية محار ، ص ٢٣٤

(٢) حنا مينه – المرفأ البعيد . دار الآداب – بيروت . ط٢ ١٩٨٦ ص ٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل عكس حنا مينه ذلك التطور على شخصياته النسائية المتمثلة في الام ؟؟

بداية يمكننا القول إن التطور الذي اصاب الام الزوجة في هذه المرحلة تمثل في عدم خروجها للعمل . فكأن حنا يود القول إن الوضع الاقتصادي للشعب السوري أصبح مقبولا ، إلى درجة انه لم تعد هناك ضرورة لخروج المرأة بشكل عام للعمل .وبالنسبة لخضوعها للرجل ولسلبيتها تجاه الامور أو ايجابيتها فالوضع لم يتغير كما هو متوقع . فهي ما تزال انعكاسا لشخصية الرجل الذي تعيش في كنفه .

فأم فياض في « الثلج يأتي من النافذة » ، تمثل صورة الأم التقليدية ،التابعة لزوجها ، فزوجها كان يغيب عن البيت لفترة طويلة ، في أثنائها كان يركض وراء الخمر والنساء ، وكان آخرها مغامرته مع زوجة المدير أيام «السفربر » ورغم عملها بذلك ، إلا أنها لم تثر في وجهه ، لأنها قديسة كما يصفها زوجها .

وموقفها من المرأة المشبوهة كان مشابها لموقف أم فارس من مريم السودا في « المصابيح الزرق » فماضيها لم ينفرها منها ، بل على العكس ، أقامت معها علاقة طيبة جدا ، إلى درجة ان مريم السودا قامت بزيارة فارس في سجنه ، وتوصيل الطعام له .

وموقفها من علاقات زوجها النسائية مشابه لموقف الأم في ثلاثية « بقايا صور » و«المستنقع» و « القطاف » ، ولموقف أم الفتى في « الشمس في يوم غائم » .

أما موقفها من سجن ابنها ، فيدل على وعيها –نوعا ما –، فعندما سجن قبل هربة بسنوات ، حضرت محكمته ، ومع أنها رأته مقيدا ، إلا أنها لم تبك ، بخلاف أم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار »، « الدقل » ، و« المرفأ البعيد » ، « لكن خوفهاعليه دفعها إلى أن تنصحه ألا يخاطر بنفسه ، ولما خاطر تركته وسافرت إلى ابنتها ، لا العين ترى ، ولا القلب يوجع» (١)

أما أم خليل في الرواية نفسها ، فشخصيتها مشابهة لشخصية زوجة الخياط في « الشمس في يوم غائم »

فهي تمثل المرأة الجاهلة ،السلبية ، الخاضعة للوضع الذي تحياه ، والقانعة بما تعانيه أسرتها . فالمجامع والاضرابات كلها لن تفيد شيئا . كانت ضد الاضراب ، وضد نشاط ابنها الساسي . لكن مشاعر الامومة وحنانها ، منعتها من الانفجار في وجهه عندما رأته عاطلا عن العمل ،

---

(١) حنا مينه – الثلج يأتي من النافذة – دار الاداب – بيروت ط٦ ١٩٨٨ ص ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجلس وحيدا ، يفكر فما حدث له.

فقد كانت تحب ابنها ورفاقه ، وأفكاره دون أن تفهمها ، لكنها لا تفتأ تلح عليه كي يستريح ، وانصب بالمقابل غضبها على « المجامع والنقابات ، وعلى المجانين الذين يلعبون بالنار»[1] فالكف حسب وجهة نظرها – لا يقاوم المخرز – وهي هنا تشبه الام في « القطاف » التي رأت انه لا جدوى من الوقوف في وجه الاقطاعي ، وكذا موقف زوجة الخياط في « الشمس في يوم غائم » – ، فكيف يستطيع هؤلاء العمال باضرابهم عن العمل في مصلحة الهاتف ، مقاومة حكومة عندها الشرطة والدرك ؟!

فهي بأفكارها هذه تكاد تمثل مدرسة كاملة للانهزامية ، وشعارها في الحياة أن السياسة لا تطعم خبزا ،وان ابنها خليل الذي أضاع ثلاثين سنة من عمره في النقابات له رأس من حطب ، لا يصلح إلا للكسر [2]

ورغم سلبيتها ، وجهلها لواقع الامور ، وبما يفعله ابنها وفياض من أجل الوطن فقد استقبلت فياضا ، استقبالا حسنا ، وحاولت قدر استطاعتها اخفاء أمر وجوده ، حتى لا يدخل السجن .وعندما سجن اخذت بالبكاء ، والعويل .

وعلى العكس منها زوجة ابنها خليل ، التي يمكن ان نعدها بداية صالحة لليقظة لما يجري حولها وقد برز هذا من خلال انضمامها لمجامع النسوان [3] ، لتفهم حقوق المرأة ، وبالتالي يتكون لديها الوعي الطبقي والاجتماعي ، لتكون إلى جانبه مستقبلا هي ومثيلاتها ، من أجل المطالبة بحقوقهن ، وحقوق ابناء وطنهن . فلو ان مشاعرها مغايرة لمشاعر زوجها ، لما وافقت على الانضمام الى المجامع ولحاولت مناقشتة في ذلك .

فزوجها ينتمي للطبقة العاملة، وهو يحاول بث الوعي بين أفراد المجتمع لذا حاول ايصال أفكاره الثورية لأهل بيته ، ونشر الوعي بينهم على العكس من جوزيف ، المناضل ، المنتمي للطبقة البرجوازية ، التي اضطرت للتحالف مع الطبقة العاملة ، من أجل ضرب مصالح الاقطاعية . لذا لا يهمه نشر الوعي لدى زوجته ،التي لا هم لها سوى الاعتناء بابنائها ، والقيام بالأعمال المنزلية ، وسماع العندليب الاسمر – عبد الحليم حافظ – وهي بذلك لا تختلف عن زوجة خليل ، لكن تطلعات كل منهما تختلف عن الاخرى ، فزوجة جوزيف – هناء –«

---

(١) الثلج يأتي من النافذة ، ص ٢١٧.

(٢) نفسه ، ص ٢٦

(٣) نفسه ، ص ٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستهلكها مطامح برجوازية ، وتطلعات مجنونة إلى الامتلاك ، فلا تفتأ تلح على جوزيف أن يهجر كسروان إلى بيروت ، وأن يشتري بالتقسيط ، ويستدين كي يبدو كأصهاره الموسرين وفي صدرها تصطرع الغيرة والحسد ، والفهم الخاطئ للنقود والمطبخ ، ويصل بها ذلك إلى غاية الغباء المتمدين » . (١)

وقد ظهر جهلها وغباؤها ، عندما لم تعلم ما هي بكين ؟ واين تقع ؟ إذ ظنتها امرأة يعرفها زوجها (٢)

وتختلف صورتها – الزوجة – في مأساة ديمتريو، فقد عكست راجعة ، صورة الزوجة المثقفة حيث تعتبر هي ورباب زوجة أحد المقاتلين في « المرصد » ، الزوجات الوحيدات في روايات حنا مينة ،اللواتي تمتعن بشئ من التعليم . وربما يعود هذا إلى تطور تعليم الاناث واتساعه بعد الاستقلال ، والذي عكسه حنا في رواياته من خلالهن .

وهي على الرغم من ايمانها بمبادئها، وثقافتها التي اكتسبتها من المدرسة ومن والدها، إلا أنها اضطرت للزواج من رجل مادي ، لا يهمه سوى جمع المال ، لتعيش في جو لم تألفه ، الرأسمالية – ، وفي أثناء ذلك كانت تنتظر راجع ، « راجع سيأتي ، وستعرف الحب والفرح ، والخشية من حبها ، ومن فرحها ، لأن الآتي لن يجدها كما يتوقع ، ستكون متزوجة ، وعليهما عندئذ أن يتمردا على مؤسسة الزواج ،وعلى المجتمع الذي أقامها وألزمهم بها ، وكانت لهم في اقامتها مبررات ، لن تلغيها إلا مبررات مجتمع آخر قادم »(٣)

فأحلامها بزواج سعيد ، تحب منه خلاله زوجها حبا جسدياً وروحياً لم يتحقق « المارد الذي كنت أتوقع أن تنتج عنه مغارة احلامي السحرية ،انقلب بعد الزواج إلى كيس نقود ، وحقيبة سفر ، ليس وراءها سوى الاتجار ببيع القمر نفسه ، كسلعة يركض واصل للقبض على ضيائها واستثماره .. لكنني أنا راجعة فهيم المتجر لم أخلق لأكون زوجة شاه بندر التجار نفسه ،إنني أكره اصطياد الغمامة لتحويلها إلى ورقة نقدية(٤)

---

(١) نبيل سليمان ، وبوعلي ياسين – الايديولوجيا والأدب في سوريا ١٩٦٧–١٩٧٣ . دار الحوار – دمشق ، ط٢ ١٩٨٥ ، ص ٣٨٩

(٢) الثلج يأتي من النافذة . ص ١٦٦ .

(٣) حنا مينة – مأساة ديمتريو . دار الآداب –بيروت ، ط٢ ١٩٨٩ ص ٣٤ .

(٤) نفسه ، ص ٧١ ،٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففشلها في زواجها جعلها « تتأمل بحزن مصيرها التعس في ظل الظروف الجديدة التي أخذت تسود فيها هذه الفئات النفعية التي ينتمي إليها زوجها ، وتنظر بحزن إلى الشرخ الكبير الذي أصاب ضمير وأخلاق تلك الفئات التي لم تعد تتوانى عن المتاجرة حتى بأقدس القيم والجماليات» . (١)

وكان لا بد لها من البحث عن الحب الروحي – لا يمانها به – حيث وجدته في عازف الكمان ديمتريو ، لكنها لم تستطع التخلص من مؤسسة الزواج ، لأنّ الطلاق محرّم في ديانتها . ورغم ذلك فإنها على أتم الاستعداد للخروج على تلك القوانين التي تحرمها من حبيبها لكن ديمتريو لم يعطها المجال . فقد انتحر بسبب معرفته بقسوة القوانين التي تحكمها . وبذا اثبتت أنها تتحلى بالشجاعة التي افتقدها ديمتريو .

ويمكننا القول إن راجعة هي الزوجة الوحيدة في جميع روايات حنا ، التي حاولت التمرد على زوجها ، وعلى العادات والتقاليد التي تقيد الزوجة في مؤسسة قد لا يكون لها اي رأي باختيارها . وهذا يعكس صورة المرأة على ارض الواقع ، في أواخر الستينات ، واوائل السبعينات – التي أخذت تحاول جادة التمرد على المجتمع الذكوري وقيوده .

لكن صورة الزوجة الخاضعة لزوجها تعود إلينا في « حمامة زرقاء في السحب » ، ليؤكد لنا حنا مينه ثانية ان المجتمع السوري ما يزال مجتمعا ذكوريا ، فالرجل هو المسيطر ، والزوجة طيبة متفانية في سبيل راحة زوجها وطيبتها ما تزال تدفعها الى اقامة علاقة طيبة . مع من يقيم زوجها علاقات معها وذلك ما يتضح من خلال علاقة الأم في « بقايا صور » مع زنوبة والأرملة ، وعلاقة أم سعيد في » حكاية بحار » مع كاترين الحلوة .

وهذا الكلام يمكن أن نقبله في فترة الثلاثينات والاربعينات ، لكن في السبعينات ، أظن أنّ هذا ليس واقعيا . لأنّ المرأة في السبعينات هي غيرها في الأربعينات . فالوعي الذي حظيت به ، يجعلها ترفض أية علاقة نسائية يقيمها زوجها، وتقف بالمرصاد للمرأة التي تحاول خطف زوجها . وكان على حنا مينه أن يبرز هذا التطور ، لا أن يبقيه كما ظهر سابقا في رواياته .

ونعود إلى «حمامة زرقاء في السحب » حيث تظهر صورة الزوجة ، التي تثق بزوجها ثقة

---

(١)مراد كاسوحة – الروية الايديلوجية والمورث الديني في ادب حنا مينة . ص ٢٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمياء ،إلى درجة أنّها لم تشك في صحة كلامه عندما قال لها إن ابنتها رنا ستشفى ، وأن العملية الجراحية التي أجريت لها لازالة الورم من عمودها الفقري قد تكللت بالنجاح ، « فهي بطيبتها تؤمن بما يقول ، وتصدق ماتسمع ، وقابلية الشك أو التساول ضعيفة لديها ، فهي ترجع إليه في كل امر، وتبحث معه كل مشكلة ، ثم تأخذها ما يقوله مأخذ الصدق الذي لا يرف عليه اثر من مظنّة ». (١)

فالتطور الذي أصاب الزوجة في روايات ما بعد الخمسينات ،هو أنّها اصبحت تناقش زوجها، وتبحث معه المشاكل التي تعترضها . مقارنة مع مثيلتها قبل الخمسينات التي كانت توافق زوجها على كل ما يقوله ، حتى لو لم تكن مقتنعه ،وذلك بسبب خوفها من مناقشتة ، فهي ستتعرض للشتم والاهانة ، وربما للضرب أو الطرد .

وعندما عادت رنا من رحلتها العلاجية ، صدمت لرؤية ابنتها مقعدة ، لكن زوجها بث الطمأنينة في نفسها . وعندما تحسنت صحتها كان سرورها عظيما . فقد كانت مستعدة للتضحية بحياتها مقابل أن تعيش ابنتها . لكن صحتها انتكست ثانية ، فأصيبت الام بصدمة ، وأشركت ليلى قرية زوجها وحبيبته – لعلمها بقربها من زوجها !!! – فيما تشعر به من آلام ، لأنها تعتبرها أختا ، تشكو لها همها ومخاوفها .

وتتغير صورة الزوجة كليا في « المرصد » إذ لم تعد تلك الزوجة التقليدية ، السلبية في نظرتها للعمل السياسي ، فالمرصد ترسم حرب تشرين ، وقد وضحت مدى مساهمة المرأة في الحرب الدائرة، واستماتتها للتطوع في اي مجال ، لأنّها تريد أن تحس أنّها ليست على الهامش ، ونلمح ذلك من خلال شخصية رباب ، زوجة أحد المقاتلين ،التي عكست صورة الزوجة المناضلة الواعية ، فعندما تركها زوجها ليلتحق بصفوف المقاتلين لم تبك ، بل على العكس شجعته .

وعندما اشتعلت نيران الحرب ، حاولت التطوع كممرضة ، لكنها لم تستطع إلا بعد فترة، لكثرة المتطوعات ، وهذا يعكس التطور الذي أصاب المجتمع ، والذي كان له الاثر الايجابي على المرأة . لكن حنا مينة – كما قلت سابقا – نسي أن المرأة شاركت قبل الاستقلال في النضال ضد المستعمر.

---

(١) حنا مينة – حمامة زرقاء في السحب . دار الاداب – بيروت ، ط١ ١٩٨٨ .ص ٢٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشئ اللافت للنظر ، عند دراستنا لصورة الأم- الزوجة - ، أن حنامينة عرفنا عليها من خلال الكنية التي يطلقها عليها بصفتها ، أم ،أو زوجه ، ولم نتعرف عليها من خلال الاسماء المجردة إلا فيما ندر ، - مثل هناء في « الثلج يأتي من النافذة » ورباب في « المرصد » وراجعةفي « مأساة ديمتريو » - فقد يكون هدفه من هذا تجسيد نظرة المجتمع ، الذي لا يتعامل مع المرأة المتزوجة إلا من خلال كنيتها ، كأم فلان ، أو زوجة فلان .

ولا بد لنا أخيرا من ابراز صورة الأم غير العربية التي جسدها في رواية « حمامة زرقاء في السحب » ، وكم كنا نتمنى أن تكون صورتها أكثر وضوحا وتنوعا، لنقارنها بمثيلتها العربية . لكنه للأسف أظهرها على أنها امرأة مريضة جاءت إلى لندن مع ابنتها ليديا من أجل العلاج

وقد عانت لسببين هما ، أولاً: خوفها من الموت لعلمها بحقيقة مرضها ، لكنها كانت تأمل أن تشفى بعد اجراء العملية في معدتها ، وفي أحيان كثيرة ،كان يصيبها ما يشبه الانهيار العصبي ، إذا ما فكرت للحظة أنها ستموت .

ثانيا :- خوفها على ابنتها أن تضيع بعد موتها -إذ لا يوجد من يرعاها بعد موتها . لا زوج ولا أقارب تثق بهم - فهي لا تطلب من الله سوى أن تعيش لشهور قليلة لتطمئن عليها ، وتزوجها من رجل يملك مالا ، حتى لا تتكرر مأساتها . إذ كان زوجها فقيرا وقد تركها وحيدة وسافر من أجل البحث عن المال ، لكنه لم يعد ثانية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- صورة الارملة :-

صورتان متناقضتان للأرملة ، الاولى ، مدانه ، والثانية محبوبة . وقد برزت الصورة الاولى من خلال الأرملة في « المصابيح الزرق » ، وفي « بقايا صور » و«القطاف»، ما قبل الخمسينات ، والثانية برزت من خلال أم بشير في « الثلج يأتي من النافذة » في الخمسينات .

فالأرملة في « المصابيح الزرق » مدانة من أهل مدينتها اللاذقية ، لانها تزوجت من ضابط فرنسي . فخيانتها الاولى تمثلت في زواجها من عدو ، وخيانتها الثانية تمثلت في تعاونها مع الانتداب .وقد مات زوجها في الحرب العالمية الثانية ، لكنها لم تتغير بعد وفاته. لانها امرأة لاهم لها سوى اشباع نزواتها الجنسية ، وساعدتها ظروفها على ذلك .فحالتها الاقتصادية جيدة ، والاخلاق معدومة لديها . لذا كان من السهل على امرأة مثلها تملك المال والجمال ،ان توقع في حبائلها من تشاء .

وعندما جاء ها فارس طالبا مساعدتها في ايجاد عمل ، أعجبت برجولته ، وصممت على الايقاع به – فالرجل في نظرها مجرد ثور – لكن فارس تركها بسبب حبه لرندة، مما أثار غضبها، فسعت لنقله من عمله ،ليصبح مجرد عامل في حفر الملاجئ ، بعد أن كان مراقبا .

وفتحت أبوابها للضباط الفرنسيين ، وهذا ليس غريبا ، على امرأة تعتبر كل من يشارك في المظاهرات ضد الفرنسين مجرما ، «ليسوا مثلنا .. المجرمون ليسوا مثلنا .. وأنت لست مثلهم ، انا أعرفك ، أنت شجاع ، لكنك لست مثلهم ، وحين سمعت بالنبأ ، قلت : مستحيل أن يكون فارس من هؤلاء ، إنه لا يقتل »[1]

اما الأرملة في « بقايا صور» فرغم أنها مدانة من قبل المجتمع ، لسلوكها المشين ، إلا أنها تملك قلبا طيبا يدفعها لمساعدة الناس. فهي الوحيدة التي وقفت إلى جانب الاسرة ، بعد اصابة الام واولادها بالجرب ، اثر اكلهم الحميضة ، وعندما عاد الوالد من ترحاله سخرت منه ،وعيرته ، كأنما تنتقم لنفسها ، للأم المسكينة ، للمرأة ، او لأنها ببساطة ، كانت شهمة مقدامة ، تمقت النذالة ، وقلة الوجدان»[2] .

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ٢٢٧

(٢) بقايا صور ، ص ١٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعاطف حنا مينه معها إلى درجةأنه جسدها بصورة الانسان الحاني الرقيق ،الذي يملك قلبا كبيراً. فقد كانت «جريئة جميلة ، لكن سيئة السمعة » (١)

وبرزت صورة الأرملة غندف في « القطاف » بشكل يثير الاشمئزاز ، فتجسدت لنا في صورة أرملة لعوب ، لا هم لها سوى اصطياد الرجال . وقد استطاعت أن تجذب الوالد إليها ، مما تسبب في نفور الفتى منها (٢)ويمكننا القول إن حنا مينه جسد الأرملة ما قبل الخمسينات بصورة تثير الكره لها .

وقدظهرت صورتها في روايات ما بعد الخمسينات بصورة مغايرة تماماً لما قبل الخمسينات فكأنه يضع اللوم على الانتداب في سقوط الاخلاق ، فما إن زال الانتداب حتى عاد الناس الى التمسك باخلاقهم ومثال على ذلك أم بشير في « الثلج ياتي من النافذة » التي جسدت الصورة المشرقة للأرملة ، التي ضحت بشبابها من أجل تربية اطفالها .حيث عملت في الريجي ، وكانت فخورة بعملها ، وشاركت العمال في الاضرابات والمظاهرات من أجل المطالبة ، بحقوقهم . ومع أنها خسرت عملها إلا أن حماسها لم يفتر . فقد ساهمت في انقاذ شباب الحي من السجن ، إذ قامت باخفاء كل الفساتين الحمراء الموجودة في بيوت اهل الحي ، حتى لا تقع في أيدي السلطات الفرنسية

وبعد تركها اللاذقية ، عملت في بيروت ، في ورشة توضيب عروق السوس، وقد اعتمد عليها فياض في توصيل رسائله إلى أصدقائه ، لكي يبحثوا له عن مكان يختبئ فيه . وساعدته أيضاً في ايجاد عمل له في ورشة (٣)

ومن هنا نستطيع القول إن تاريخها النضالي بدأ قبل الاستقلال ، واستمر بعده ، نتيجة سيطرة الحكم الرجعي على البلاد .

---

(١) نفسه ، ص ١٧٥

(٢) انظر القطاف ، ص ١٥– ص٢٥

(٣) انظر الثلج يأتي من النافذة ، ص ٤٤ ، ١٠١، ص ١٠٢،ص ١١٧،ص ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - صورة الاخت

يظهر أن حنا مينه يتعاطف مع الاخت ، لدرجة أنه يصورها على أنها انسانة تتمتع بقلب رقيق طاهر . وبذا تكون مساوية تقريبا للأم في العطف والتضحية .

وهذا ما نلاحظه من خلال شخصية فاطمة أخت الطروسي في « الشراع والعاصفة » فالطروسي يعتبر « الأخت أما ثانية » [١] فأخته كانت تخاف عليه وهو صغير ، وتفكه حين يربطه والده الى عمود البيت ، بسبب هربه من المدرسة،و شيطنته وعدائه مع الاولاد .وكانت تطعمه من خرجيتها ، لذا احبها مثل روحه . حتى بعد زواجها ، ظلّت تفكر فيه ، وتسعى لزواجه .

لكن صورتها ظهرت باهته ، إذ لم يكن لها أي دور يذكر في تطوير شخصية أخيها ، أو في تطور أحداث الرواية . ونحن لم نعلم عنها شيئاً إلا من خلال حديث الطروسي عنها .

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على أخت ابي روكز في « الثلج يأتي من النافذة » ، لذا ظهرت صورتها باهتة جدا . ولم نعرف عنها سوى انها امرأة ثرية تعيش في البرازيل ، وان ابنها اصبح وزيرا هناك . وقد جاءت الى الوطن ، وفي وقت كان أخوها يفكر في توسيع ورشته لتصبح مصنعا كبيرا لصناعة المسامير ، وكان ينقصه المال اللازم لتحقيق حلمه ، فوضع آماله عليها لكنها خابت ، لأنها سافرت دون أن تمد له يد العون .وهذا يدل على أن وضعها لم يتغير بعد الاستقلال ، مع أن صورتها في « الشمس في يوم غائم » ،ظهرت بشكل مختلف ، إذ لم تبق على الهامش، فقد برزت تطلعاتها إلى التغيير . من خلال تعاملها مع الحياة بجرأة تجسدها عليها ابنة عمها ، فهي لا تضع مثلها عوينات طبية . وهي ليست جميلة ولا قبيحة ، انها نسخة ملطفة من امها [٢]

لكنها ترى الحياة بواقعها ،ومع ذلك لا تستطيع عمل شئ ازاء الوضع الطبقي الذي تعيشه، رغم علمها أن والدها يقتل الفلاحين ويضطهدهم .

ومع أنها تتوق للتغير ،إلا أن رغبتها فيه ، لا تعدوالامنيات ، وربما الأوهام ، فهي تعجب باليعاقبة متطرفي الثورة الفرنسية ، لكنها في الوقت عينه مخطوبة لرئيس القلم . فإذا اخذتها

---

(١) الشراع والعاصفة ، ص ٥١

(٢) الشمس في يوم غائم ، ص ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باليعاقبة متطرفي الثورة الفرنسية ، لكنها في الوقت عينه مخطوبة لرئيس القلم . فإذا اخذتها تصرفاته ، فإنها لم ترفض شخصيتة وانتماءاته وافكاره [١] ، لأنها تعكس صورة المرأة المستسلمة لتقاليد طبقتها ، بشكل لا تستطيع الخروج على قوانينها – مع أنها ترفضها ، ولأنها سوف تتعرض لظلم الرجل ممثلا في والدها ، وفي زوج المسقبل . ورغم ذلك يمكننا القول ،بان تحولا طرأ على موقفها ، « ربما اعصار المرأة العاهرة الصادقة مع نفسها ، ربما الريح العاتية التي نقشتها اثناء وجودها بينهم ، وتبدأ اخته تمل نظام حياتهم ، وتكشف الزيف الكامن في كلماتهم ، والظلم والحقد الذي يصبونه على فلاحي الضيعة ، المتهورين الضعفاء ، وتحس بالاعجاب نحو المرأة التي تحاول ان تقدم لها سلسلة ذهبية ، تعطيها لأخيها كي يوصلها » . [٢]

لكنه في بعض الاحيان ، كان كلامها ينمّ عن انتمائها الطبقي ، وقد تكشف هذا خلال النقاش الذي دار بينها وبين اخيها حول الفلاحة التي قتل والده زوجها وأرضاها بالمال لتصبح عشيقته ، واستخدم ابنته في بيته ، قالت لاخيها « ثم ليس والدك وحده .. الاخرون ايضا .. الأغوات .. إذا لم يفعلوا هذا كيف يسيطرون على الفلاحين ؟ قل انت .. وخياطك هذا ». [٣]

وتظهر صورة الاخت في ثلاثية « بقايا صور » ، و « المستنقع » ، و « القطاف » ، بصورة مغايرة تماما لصورة فاطمة في « المصابيح الزرق » و الاخت في «الشمس في يوم غائم » و « الثلج يأتي على النافذة » فقد عكست صورة المرأة ، التي قد تضطرها ظروف عائلتها الاقتصادية ، الى العمل خادمة في البيوت . فالأخت الكبرى عملت خادما في بيت المختار في السويدية ، «وكان عليها ان تذهت لتعيش بعيدة ، غربية ، شقية في خدمة رجل لا يرحم ، وأن تبقى حبيسة محرومة من رؤية اخوتها حتى يوفى الدين» [٤] . وتحملت التعب والشقاء ، رغم انها لم تتعد العاشرة من عمرها. ولحقتها أختها الاصغر ، لتشاركها في رحلة الشقاء ، ولتموت في بيت سيدها في المدينة .

وفي « المستنقع » تستمر رحلة الشقاء ، فمع أن الكبرى تركت الخدمة لتتزوج ، إلا أنها لم

---

(١) ابراهيم السعافين – صورة المرأة في روايات حنا مينه . ص ٢٧

(٢) شمس الدين موسى – الشمس في يوم غائم . مجلة الثقافة العراقية . العدد التاسع .السنة الرابعة ، ايلول ١٩٧٤ . ص ١٥٤

(٣) الشمس في يوم غائم ، ص ١٤٦

(٤) بقايا صور ، ص ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحس بالراحة ، فزوجها كسول وسئ ، وكان يشتمها ويضربها في كثير من الأحيان . أما هي فتمنت لو بقيت خادما ولم تتزوج ، « لكنها بنت ، والبنت يجب أن تتزوج ، فأكرهت على قبوله خطيبا » . (١)

وشاركتها الاخت الصغرى قدسية في رحلة الشقاء في « القطاف » ، والتي بدأتها في « المستنقع » ، لكنها ظهرت بصورة مختلفة كليا عن شقيقتها . فمع أنها حرمت من التعليم ، وكافحت في بيوت الناس، في الاسكندرونة ، وفي اللاذقية ،إلا أنها كانت على درجة عالية من النباهة .

فهي تمثل صورة الأخت الواعية ، المدركة لحقيقة الأوضاع التي تحياها اسرتها ، والثائرة عليها في محاولة منها لتغييرها ، فنراها في بعض الاحيان – اثناء عملهم في النطارة في احدى قرى اللاذقية ، أثناء موسم قطف الزيتون – تثور في وجة امها ، لأنهم فقراء ، وطعامهم لا يتغير ، إما البرغل والعدس ، وإما الزيتون . وهي لا تفهم لماذا يتحكم الاقطاعي في كل شئ ؟ حتى حياة الناس؟

ونراها وقد وقفت في وجه الوكيل ، متحدية اياه أن يصيب والدها بأي سوء . وتحدته مرة أخرى ، عندما أمر بتفتيش بدور ، ليتأكد من سرقتها للزيتون ، فلم ترضخ له ، وطلبت من امها عدم تنفيذ أوامره .

وعندما سجن والدها لم تبك ، ومنعت والدتها من البكاء ، فقدكانت جريئة وجسورة ، وهي بذلك تشبه والدها ، وقد نالت اعجاب شقيقهاالذي قال عنها :، « أختي هذه ستكون تعويضا بالنسبة إليّ ، فيها أهم ما أفتقده أنا وهو المجابهة ، ولقد فكرت أنها صبية ما تزال ، ومن المبكر أن تتخذ صفة المرأة الراشدة ، لكنها في اندفاعها وشجاعتها ، لا تماثلها أي امرأة راشدة ، وهي البديل التام عن أمي ، فالمرأة حين يستيقظ وعيها ، قادرة على نقل الجبل من مكانه ،كما في الاسطورة ، ولكم أسفت لأنني لا أعرف ان أعبر عن أفكاري لأزيد معارف اختي ، لأجعلها تقوم بما تقوم به بالوعي مع الشجاعة ، لا بالشجاعة وحدها » .(٢)

---

(١) المستنقع ، ص ٤٢٥ .

(٢) القطاف ، ص ١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقدسية تمثل المرأة النموذج التي يريدها حنا مينة، فقد تجسدت في شخصيتها الشجاعة، والجرأة، والتحدي ، والثورة على الظلم واتباعه ، والشئ الوحيد الذي تحتاجه اضافة الى ما تتصف به ، الوعي المنظم ، وشخص مثقف ، ينير لها طريقها ،ويغرس فيها الافكار الثورية ، حتى تستطيع المطالبة بحقها وهي واثقة مما تقوله .

وقد تمثلت شجاعتها، التي تعجب بها ، في أكثر من موقف ، فعندما هددهم المطعون بطردهم من البورة ، بكت الام كعادتها ، لكنها أمرتها بالدخول إلى الخيمة ، فهي لا تحب البكاء ، فالدموع لا تنفع ، حتى لو طردوا ، فانهم سيعثرون على عمل في المدينة ، « وكانت شجاعتها تمدها دائما بما تمزق به الستارة السوداء التي تنصبها الوالدة في مثل هذه الظروف »[1]

فالخوف لا وجود له في حياتها ، فهي ترى أن سبب ما هم فيه الخوف . [2] وأن العمل هو الذي يحقق الاستقلال للانسان ، لذا قررت البحث عن عمل فور عودتها إلى اللاذقية ،لتساهم في اخراج أسرتها من البيت الذي تسكنه ، ولتنشلهم من الفقر .

ويمكننا القول إن قدسية جسدت البداية المشرقة ليقظة المرأة في الثلاثينات لحقيقة الانتداب وممثليه . وقد جعلها حنا مينه مماثلة في ثوريتها لزنوبة في « بقايا صور » ولذات العينين السواداوين في « الشمس في يوم غائم » – مع أنها تختلف عنهم في انتمائها الطبقي – من خلال وعيهن لواقع الأمور في الثلاثينات من هذا القرن .

ونهاية يمكننا القول إن صورة الاخت في روايات ما قبل الاستقلال ظهرت باهتة جدا لادور لها ، وظهر هذا من خلال شخصية فاطمة في « الشراع والعاصفة » ، والاخت في « الشمس في يوم غائم » باستثناء قدسية في « القطاف » . التي كان لها دور بارز في الاحداث أما صورتها بعد الاستقلال فلم تتغير ، إذ ظهرت كمثيلتها قبل الاستقلال ، وتجسد هذا من خلال شخصية ، أخت أبي روكز في « الثلج يأتي من النافذة ».

---

(١) القطاف ، ص ١٧٨

(٢) نفسه ، ٢٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- صورة الابنة :-

صورتان معذبتان ، الأولى صورة الفتاة التي تتعذب نتيجة آلام المرض الذي تعاني منه . والثانية صورة الفتاة التي تتعذب نتيجة مرض والدتها .

فرنا في « حمامة زرقاء في السحب » ، مصابة بورم سرطاني في عمودها الفقري . فقد أجريت لها عملية جراحية لإزالته في أحد مستشفيات لندن . والموت بانتظارها لكنها تجهل ذلك ، فهي تظن أن العملية نجحت وأنها تتماثل للشفاء ، وستعود قريبا الى وطنها، لتواصل مشوارها التعليمي وتحقق حلمها الكبير في أن تصبح طبيبة.

ورغم أنها كانت ضعيفة أمام المرض . إلا أنها حاولت اثبات جرأتها وشجاعتها، فعندما بدأت صحتها بالتدهور ، كابرت ولم تظهر ألمها ، أمام والديها مع أن المرض كان ذئبا، يفترسها بهدوء ، « وتحت وطأة الهجمات الشرسة، راحت الفتاة تترنح ، متألمة بصبر ، صامتة كأبي الهول ، مبتسمة في قرارة عينيها السواداوين كي لا تشكو ، ولا تخيف من حولها . « (١)

ولتزيد من اطمئنانهم ، طلبت من والدها بعد تركها المدرسة ، أن يحضر لها مدرسا للغة العربية، وآخر للرياضيات . وبعد فترة صرفتهم ، وطلبت تعلم الموسيقى والرسم ، وعندما أصبحت مقتنعة بانها لن تشفى ، بحثت عن مهنة يتقنها المكفوفون والمقعدون لتتعلمها . وأصبحت تتكلم بهدوء عن واقع مسلم به ، كأنما يخص غيرها ، حتى أنه لم يخالط نبرة صوتها أيما اسف على كونها مقعدة ، كما لو أن الأمل بعودة العافية إلى قدميها ، صار بعيدا منسيا ، وأنها ارتضت هذا الوضع ، فهي لا ترى فيه أية غرابة ، وكل ما تريده ، وترجوه ، أن تكون نافعة ، وان تضمن مستقبلها حتى وهي مقعدة (٢)

لكن المرض بدأ يهاجمها بشراسة ، فتقرحت قدماها ،وازداد جسمها نحولا وشحوبا ، ولم تستطع النهوض من السرير ، فالحمى والصداع اصبحا ملازمين لها ، « ولم تعد البودرة تنفع جسمها ، فالجسم يتفسخ ، والجسم حياً يتفسخ ، والنهاية باتت واضحة ، قريبة »(٣)ومع ذلك فجها للحياة ، وأملها بالمستقبل ، جعلاها تأمل بالشفاء حتى اللحظة الاخيرة.

---

(١) حمامة زرقاء في السحب ، ص ٣١٨

(٢) نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٣) نفسه ، ص ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما ليديا في الرواية نفسها فمعاناتها تختلف عن معاناة رنا ، فهي تعاني بسبب مرض والدتها ،الذي لا شفاء منه ، فقد كانت مصابة بورم سرطاني في معدتها . ولن تعيش بعد ازالته اكثر من ستة شهور . لكن ليديا اوهمتها انها ستشفى تماما بعد اجراء العملية ، رغم علمها بحقيقة الأمر .

كانت تعاني ، وبحاجة الى من يقف الى جانبها ، وكان جهاد ذلك الشخص الذي حاول التخفيف عنها رغم معاناته ، فقد عاملها كابنه له ،وهي ما كانت تحتاج الى اكثر من ذلك ، لكن بروده دفعها في احدى المرات الى الغضب منه ، مع انها كانت طبيعية ، بسيطة ، اليفة ،ترى الامور من حولها بفرح فتاة يافعة ، وبتفتح انثى تتطلب من ايما رجل ان يكون في الدائرة الصحيحة ، دائرة الانجذاب ، الاعجاب ، التأثر او على الاقل الشعور انها الى جانبه ، وان من حقها عليه ان يدع هذه اللامبالاة حيالها ، ويعاملها كما ينبغي ، سواء كانت هذه المعاملة بريئة او مدخولة ، شريطة ان يرسل نفسه على سجيته [1] فمعاملته هذه جعلتها تحس بالوحدة والغربة التي تعلم انها ستشعر بها أيضا بعد وفاة والدتها ، و كانت تتمنى لو تستطيع تحقيق حلم والدتها ، بالزواج من رجل ثري . لكنها في الوقت نفسه لا تستطيع ،لانها لا تود الزواج من رجل يحبها وتحبه . وهذا الرجل لن تجده خلال ستة شهور . الحد الاقصى الذي ستعيشه والدتها .

وفي النهاية يمكننا القول ان صورة الابنة تظهر في رواية واحدة فقط ، تتحدث عن فترة السبعينات ، واحدة منهما عربية ، والاخرى اجنبية ، والذي يجمعهما المعاناة والمرض لذا لا نستطيع اجراء مقارنة مع صورتها ماقبل الخمسينات .

---

(١) حمامة زرقاء في السحب ، ص ١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - صورة القرية :-

ظهرت صورتها من خلال شخصيتين روائيتين هما ، ابنة العم في « الشمس في يوم غائم » ، وابنة الخال في « الولاعة ».

فابنة العم في « الشمس في يوم عائم » ، « تمثل احد الاعمدة في عالم الفتى المتداعي ، كأن حنا مينه يريد القول إن هذا العالم بقدر ما يجب تحطيمة ، فإنه يحمل بذور فنائه ، والسوس ينخرفيه ، ولسوف ينهار من داخله بفعل الضربات التي توجه له من الخارج ،حيث تجهز عليه نهائيا . » (١)

فهي لا ترى الامور على واقعها ، فنظرتها الضبابية جعلته يكرهها ، لأنها تحول بينها وبين رؤية الامور على واقعها . وقد رشحها والده زوجة له ، لأنها الوريثة الوحيدة لعمه.ورغم كرهه لها فقد احبته بصدق ، وحاولت اثبات ذلك ، له ، بابداء رغبتها الملّحة في تعلم رقصة الخنجر ،رغم علمها ان هذا يعتبر تحديا لأسرتها . ورضاها ان يرمي بنظارتها بعيدا لمساعدتها في رؤية الواقع . ومع ذلك لم يستطع مبادلتها الحب فقط كان يشفق عليها ، يحترمها ، يعزها ، لكنه لا يحبها لأن هناك من ملكت قلبه .

ورغم ذلك يمكننا القول ، ان شخصيتها غير تقليدية ،فهي قابلة للثورة على الوضع الطبقي لاسرتها وقابلة أيضا للتغيير .وهي تعكس الصورة الواقعية للمرأة التي تتمثل للقيم والعادات السائدة في مجتمعها . ورغم ذلك تحاول البحث عن الشمس وراء الغيوم المتراكمة ، ودليلها ابن عمها . الذي قدرلها كل ذلك ،إلا أنه لم يستطع ان يحبها . لكنه ربما يعود اليها يوما ما ، فوالده قتل الخياط ، والمرأة ذات العينين السوداوين لن ترضى به، بعد ذلك وابنة عمه يستطيع تطويعها لآرائه ، وستكون مساندة له ، فلماذا يرفضها ؟

هذا فيما يتعلق بابنة العم في » الشمس فيي يوم غائم » والوضع يختلف بالنسبة لفروسيا في « الولاعة » ، فقد فاقت جرأتها الحدّ المألوف .

كان والدها سكيرا ، وأمها اليونانية الاصل متوفاة، وقد هربت من المزرعة التي يعمل فيها والدها ، لأنه أراد تزويجها من عجوز تركماني ، لا يميزه شيء ، سوى أنه ثري ، وجاءت إلى

---

(١) شمس الدين موسى – الشمس في يوم غائم ، ص ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسكندرونه ، لتعمل عند تاجر أرمل يوناني ، اسمه يورغو ، يعيش هو وابنته في بيته الكبير [١]

وبعد فترة جاءت إلى عمتها بحجة أن معلمها قد سافر ، وتريد البقاء عندها لحين عودته . وحاولت اثناء اقامتها ، ايقاع زوج عمتها في شباكها ، لكنها لم تفلح ، لأنه شك في نواياها منذ قدومها ، فقد علم ورفاقه في النضال السرى ، أنها تعمل لحساب يورغو ولاونديوس ، اللذين يعملان بدورهما لحساب السلطات الفرنسية.

وحتى تبعد الشبهات عنها ، أكدت لزوج عمتها،رزق الله المخزومي ، ولعمتها ولفرح ، أنها لا تعرف الممسوس!! لاونديوس معرفة وثيقة.ولتثبت لهم ذلك كانت تشتمه امامهم « لاوندويوس كلب وأكثر ، تعرفين يا عمتي لماذا ؟ لأنه طلب مني ان اخبره ما يفعله عمي ، من يزور ؟ ومن يزوره ؟ وماذا يفعل صباحا حين يذهب الى الشغل ، وماذا يضع في جيوبه ؟» [٢] ولتبعد الشك نهائيا ، تشاجرت معه أمام عمتها وفرح ، واتهمته أنه وشى برزق الله ، مما أثار غضب عمتها ، التي تشاجرت معها .

وفي النهاية.ويمكننا القول أنه أظهرصورة القريبة بشكل يكاد يكون مختلفا عن صورة الأخت – باستثناء قدسية إذ جعلها تجسد بداية اليقظة ،ومحاولة الثورة على وضعها . فابنة العم تحاول السير مع ابن عمها في طريقه المناقض لطريق اسرته الاقطاعية . وفروسيا تحدت والدها ولم تتزوج من الرجل الذي اختاره لها . وهذه صورة مشرقة للجيل الصغير في ثلاثينات هذا القرن.

ولم يجسد لنا حنا منيه صورة القريبة في الخمسينات ومابعد.

---

(١) الولاعة ، ص ٤٤

(١) نفسه ، ص ١٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و- صورة الحبيبة العشيقة :-

تتراوح صورة الحبيبة في روايات حنا مينه بين الرومانسية الحالمة ، التي تلتقي بحبيبها روحيا . وبين الحبيبة التي تلتقيه جسديا ، وقد تلتقيه روحيا .

فرندة في « المصابيح الزرق » تمثل صورة الحبيبة الرومانسية ، الحالمة ، البعيدة كل البعد عن الواقعية والشئ الوحيد الذي فعلته للتعبير عن حبها لفارس ، واخلاصها له اثناء سجنه ، أنها كانت تأتي كل يوم الى امه لتساعدها في بعض الاعمال المنزلية، وتصحبها الى المصنع .

وعندما قرر فارس الانضمام إلى جيش الحلفاء والسفر الى ليبيا ،قدر أنها ستبكي لدى سماعها الخبر ، لكنها اكتفت « بمسك اصابعه المرتعشة انفعالا » [١] ،ولم تبك فلو أنها بكت لقال لها بحرارة « لا تبكي ، أنا لك طول العمر ، ولن أسافر » . [٢]

ويمكننا القول «إن حب فارس لرندة يمكن اعتباره من ذلك النوع العادي من الحب ، حب لا يفجر المواقف ، ولا يؤثر على سير الخط العام للرواية ، ولا يلعب اي دور هام وبارز ، أي أنه حب لا يتدخل في الأحداث الكبرى في الرواية سلباً او ايجاباً ، فهو حب غائب عن الاحداث ، وليس له وجود فيها تماما ، ففارس لم يذكر الحب ، ولم ينس الحب ، لكنه لم يتأثر بهذا الحب !! [٣]

أما رندة فقد كانت تكفيها من حبيبها نظرة، وقبلة خاطفة، وفي الوقت نفسه تحلم بعودة حبيبها الذي تطوع في جيش الحلفاءعلى فرس ليخطفها ، ويذهب بها بعيدا .

والحلم نفسه يتكرر عند دينيز في « الثلج يأتي من النافذة » ، فانصراف أمها إلى طاولة البوكر ، واصدقائها ، اضطرها إلى قضاء معظم أوقاتها وحيدة متنقلة بين السينما ،والنوم ، والمطالعة ، والاستسلام لعالمها الخاص ، وأحلام اليقظة ، التي جعلتها تتعلق بفياض ، رغم جهلها حقيقة أمره ، لكنها عندما رأته يوما يقف وراء نافذة دار أبي خليل ، أحبته ، وتمنت ان يأتي على فرس ليخطفها بعيدا . لكنها بعد فترة أيقنت أنه لا أمل من اللقاء . فقد علمت من رسالة بعثها

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ٢٦٢ .

(٢) نفسه ، ص ٢٦٢ .

(٣) عبد الحميد المحادين – رؤية في الظل . وزارة الاعلام – البحرين . ط١٩٨٣١ .ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها،أنه يسبح ضد التيار ، « لم يكن في الرجل ما يفتنها ، بل سر هذا الرجل ، كونه متميزا ، يسبح ضد التيار ، له غاية اخرى، وحياة أخرى ، وعذاب يجعله خليقا بالحنان ، وشجاعة تضعه على حافة الموت دائما ، وحب يعلو على المدائح الرائجة لصغار العشاق[١] ، « فهي لم تكن ، إلا حلماً يكابد مشقة التحقيق ، حلماً يجسم المسافة الهائلة بين الهرب والمواجهة ، إنها بالضبط الوجه الآخر لعذاب السجن هناك ، إنها صورة تضاف إلى صور الحرمان المتلاحقة ،وتلعب دورها على طول خط المواجهة بين فياض وخليل « [٢]

وتكرر اللقاء الروحي في « القطاف » وفي « مأساة ديمتريو » ، وفي « حمامة زرقاء في السحب » .

فحب الفتى لرئيفةفي « القطاف » ، يمكن وصفه بالحب العذري البريء فقد . أحبها لأنها جارته في الكرم ، وزميلته في جمع الزيتون ، ورفيقته في شقاء الفقر [٣] لكنه لم يفكر في الزواج منها ، لأن افكارهما مختلفة ، فهي متأثرة بافكار الطبقة المتوسطةالتي ينتمي إليها والدها، لذا تتكلم عن قناعة بأن ما يحدث هو ما يجب ان يجري « فالفلاح سارق ، والخواجات اصحاب الملك ، وهم يتفضلون علينا بما نجنيه من ملكهم .ولم تفكر كيف تعيش ، وظروف هذه المعيشة ، وكيف يكدح والدها،دون أن يصل إلى كفايته ».[٤] ومن هنا نستطيع القول انها كانت نائمة، وتحتاج الى من يوقظها ، وجاهلة تحتاج إلى من يبث الوعي فيها ، ويفهمها الواقع ، فمع أنها احبت الفتى ،إلا أنها لم تقتنع بأفكاره ، فهي في صف والدها . لكنه عندما تخلى عنها مرضت، وودت لو تستطيع الاستمرار في العلاقة ،لأنها تؤثر الوهم على الواقع . [٥]

وتجسد ليلى في «حمامة زرقاء في السحب » الحب العذري . فهي الحبيبة التي يبثها جهاد آلامه وأحزانه في حين يخفيها عن زوجه التي التقاها جسديا فقط بحكم العلاقة الزوجية .

---

(١) الثلج يأتي من النافذة ، ص ٢٥٨ .

(٢) غالي شكري – معنى المأساة في الرواية العربية – رحلة العذاب – دار الآفاق الجديدة – بيروت . ط٢ . ١٩٨٠ . ص ٢٥٧ .

(٣) القطاف ، ص ٢٣٤.

(٤) نفسه ، ص ٢٤٢

(٥) نفسه ، ص ٢٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحبه لليلى ملازم له منذ صغرها ، وعندما كبرت تزوجت وسافرت مع زوجها الذي توفي في الغربة ، وعادت لتقيم في دمشق . وبحكم علاقة القرابة التي تربطها ، توطدت العلاقة بينهما، واستيقظ الحب القديم في قلبه . لكنه لم يسمح لنفسه بالتفكير بها جسديا ، لأنها قريبته التي يعزها ويحترمها ، ويخاف على سمعتها .

وكانت الملاذ الوحيد في محنته ، فهي الوحيدة التي تعلم حقيقة مرض ابنته ،وكثيراً ما حاولت بث الأمل في نفسه ، فقد كانت « امرأة العزاء الصادق ، التي تعرف كيف تستنبت الأمل عندما يخيب ، بما تملك من قوة فائقة في مواجهة المصاعب » . (١)

وقد يسبق اللقاء الجسدي اللقاء الروحي ، كما يتضح في « الشراع والعاصفة » ،فماريا عشيقة – حبيبة – الطروسي ، امرأة ايطالية ، عرفها في روما في احدى سفراته.

فقد رأته من نافذة بيتها القريب من الميناء ، يخوض معركة شرسة مع بحارة ايطاليين . فأعجبت بملابسه الشرقية ، وشجاعته ورجولته . فعله أقنعها . فبعثت وراءه، وكان اللقاء الجسدي ، رغم جهل كل منهما بلغةالآخر. وكان اللقاء يتكرر بينهما في كل مرة ينزل فيها على شاطئ روما.

لكنه انقطع عن لقائها ، بعد غرق مركبه ، حيث قرر ألا يعود اليها ، إلا وهو رئيس على مركبه . وتحقق أمله بعد عشر سنوات .إذ ابتاع مركباً ، وقرر الابحار للبحث عنها . وكان عليه قبل أن يذهب ، حل مشكلته مع أم حسن ، فقد احتار كيف سيوفق بينهن ؟! وبعد تفكير قرر الزواج من نجوى – رمز الاستقرار–، وابقاءها في اللاذقية ، ليلقاها كلما عاد .والذهاب الي روما للبحث عن ماريا – رمز المغامرة والتمرّد – التي كان يحن إليها كثيرا ، فقد ملكت قلبه . وهو يعترف بذلك ، « فمن بين كل النساء اللواتي عرفهن في موانئ المتوسط، استأثرت هي بقلبه دون سواها ، إنها أميرة وقد أحب هو الامارة في الجمال والوقار وكرههما ، أو لم يأبه لهما ، فيما عدا ذلك . (٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف احبها مع أنهما لم يتكلما معا ؟ فهل أحب جسدها

---

(١)حمامة زرقاء في السحب ، ص ٣١٤ .

(١) الشراع والعاصفة ، ص ٢٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقط ؟ أم أحب روحها ايضا ؟ وفيما نعتقد فقد التقاها جسديا وروحيا . فحبها لرجولته وشجاعته جعلها تحس أنه قريب من روحها . فالمرأة تحب الرجل القوي الشهم . ومن ناحيته احب فيها روح التحدي والمغامرة ، وهذا ما يجذب البحار إلى المرأة .

فاللقاء الروحي أعقب اللقاء الجسدي . وهذا ما حدث أيضاً بين شكيبة وزكريا المرسنلي في « الياطر » . التي التقاها ، بعد فراره من مدينته ، في أحد جبال « قرة اغاش» ، حيث كانت ترعى أبقار القرية ، مقابل أجر زهيد . فزوجها مسافر ، وعليها تقع مسؤولية رعاية أطفالها وجدتهم.

وقدطلب منها طعاما فأحضرته ، وأعطاها بالمقابل بعض السمك الذي اصطاده من البحر . فحصل على متعة جسدية ، مما جعله يظن أنه بالامكان التمتع بجسدها ، مقابل اعطائها بعض السمك ، لكنها لم تعد ثانية ، إلا بعد أن أيقنت أنه أصبح انسانا يقدر انسانيتها .

وبناء على ذلك يمكننا القول أنها أفلحت في نقل زكريا من الطور الوحشي الى الطور الأدمي، فهي تمثل المرأة الايجابية، (١) فقد كان قبل لقائه بها مغمض العينين لا يرى في المرأة سوى جسد يروي ظمأه ، لكن « شكيبة فتحت عينيه لأول مرة على حقيقة المرأة .. انسانة مثله تماما ، وهي التي كانت من قبل شيئا رخيصا مثل اليونانية ، أو ربة بيت مهملة مثل صالحة . » (٢) فهي تمثل صورة المرأة الايجابية الواعية، والتحامها مع المرسنلي ، هو محاولة الفهم الحقيقي للهدف الذي يسعى إليه الراغبون في تقديم صورة للعالم أجمل وأعدل . وإذا بدت المرأة ذات العينين السوداوين في « الشمس في يوم عائم » أعنف وأشد مراساً ، وأعمق انتقاماً ، فقد كانت شكيبة في وداعتها لا تقل صلابة ، وعزما ومضاء !! (٣) فقد أجبرته بتصرفها أن يغير نظرته للمرأة، وجعلته يبحث عن الحب الحقيقي ، إلى درجة أنه قرر بينه وبين نفسه، أن يعامل زوجته صالحة معاملة انسانية ،إذا قدر له وعاد إلى مدينته ثانية .

فاللقاء الروحي حدث بينهما ، فقد أحبته ، لذا غفرت له قتل كلبها ، ومحاولته قتلها ، واثبتت له أنه باستطاعتها قتله . واستمر اللقاء اليومي بينهما ثلاثة شهور ، في اثنائها كانا يشيدان

---

(١) جورج طرابيش – الرجولة وايدلوجيا الرجولة في الرواية العربية . ص ٣٠٨

(٢) يوسف ضمرة – المرأة في عالم حنا مينه الروائي . مجلة أفكار . العدد السادس والخمسون . شباط ١٩٨٢ ص ١١٣

(٣) ابراهيم السعافين – صورة في روايات حنا مينه . ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيتهما في الغابة . فقد قررت أن تعيش معه ،حتى لو عاد زوجها . وبذلك تكون قد اختارت الحب لا الواجب ، العاطفة لا العقل . لكن زكريا نهاية احتكم لعقله ، وعاد إلى مدينته في محاولة لانقاذها من الحيتان التي تهدد مراكب الصيادين . ويتكرر اللقاء الجسدي مفتاح اللقاء الروحي في ثلاثية « حكاية بحار » ،من خلال كاترين الحلوة وعزيزة .

فكاترين الحلوة الهاربة من اللاذقية مع زوجها – التي اضطرت للزواج منه ، حتى ينقذها من الألسن التي تلوكها، وتشكك بسمعتها – التقت في مرسين صالح حزوم . فأعجبت برجولته ،وقررت اقتناصه، لكنها بداية حاولت أن تثبت له أنها امرأة شريفة فلم تزر أحداً ، ولم تسمح لأحد من الرجال بزيارتها أثناء غياب زوجها حتى عندما زارها صالح ، لم تأذن له بالدخول إلا بوجود زوجها . وعندما أحست أنه بلع الطعام ، بدأت تتخفف من تزمتها ، واستقبلته بغياب زوجها ، وعرضت مفاتنها الجسدية ، ليصبح عشيقها الرسمي ، ولم يستطع أحد أثناء ذلك الاقتراب منها أو المس بسمعتها . وعندما سجن لم تصن نفسها ،إذ باعت جسدها للاتراك .

وبعد خروجه من السجن ، طلب منها مغادرة المدينة فورا .لأن فعلها اغضبه ، فلو أنها خانته مع العرب لربما غفر لها فعلتها المشينة ،أما أن تخونه مع الاتراك فهذا لن يغفره لها لكن حبه لها منعه من قتلها رغم خيانتها .

وبالمقابل أحبته حباً جارفاً ،فمع أنه طردها ، إلا ان عشقها له لم يفتر ، وبمرور السنين تغير مجرى حياتها ، لكنها لم تنسه . فقد عشقته ، ومن خلاله عشقت البحر والبحارة ، لذا تزوجت من بحارة ، لتلهي نفسها عن فقده بالتنقل من رجل لآخر. وأخيرا اختارت ابنه عشيقاً لها، لأنها رأت فيه صورة عن أبيه . لكنها تركته وسافرت مع زوجها اليوناني لتختفي مثلما اختفت عزيزة حبيبة سعيد . التي يمكن اعتبارها التجربة الأولى له في الحب .

فالزمن لم يتح له أن يعيش حياة مستقرة ناعمة تسمح له ، بحب أي فتاة . وجاءت عزيزة لتكون الانثى الوحيدة في حياته لزمن طويل .وقد ظنها الاولى والأخيرة ، لذا تعامل معها بداية كمن يحب فتاة حبا عذريا مجنونا ، فإذا رآها التهب ، واذا مست يده يدها تكهربت . فقبل لقائه بها لم يعرف الحب ، ولم يعان الشوق ، ولم يمارس عذاب القلب .أما الان فالوضع اختلف ، إذ هوس مجنون تملكه ، رعدة تسري في بدنه ، كلما تخيل لقاءه الاول بها في منزلها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالمقابل احبته بحنون ، وكانت هي المبادرة لهذا الحب ، رغم أنّهامتزوجة ، لكنها لم تحب زوجها العجوز الذي ارغمت على الزواج منه . جسد سعيد أغراها فسعت للقائه ... لرغبتها في الانتقام من أهلها ، ومن زوجها بالذات ، لذا خانته على سريره ، فقدكانت في معركة ، وهذا هو الانتصار ،إنّه الظفر بما حرمت منه ، تمريغ لكرامة الآخر وشفاء لكرامة جريح (١) .

واستمرت علاقته بها إلى أن ظهرت كاترين على الساحة ، اكتشف حينها أنّ عزيزة طفلة ، فراشة ، مقارنة مع كاترين الحلوة ، التي لا يمكن مقارنتها بأية امرأة ، لانها نوع خاص من النساء .

ومثلما يأكل الكبير الصغير ، والقوي الضعيف ، هكذا أكلت كاترين عزيزة ، طمستها ، حتى كأنها لم تكن غير أنّة في عقله الواعي . لكنه بعد فترة اكتشف انه فرط بعزيزة لأجل انسانة لا تستحق ذلك ، اكتشف أنّه فرّط بالروح لأجل الجسد ، فرط بالطهر لأجل الدنس ، بالحب الشهوة ، لأجل فخذ . فقرر العودة اليها . لكنها اختفت ولم يرها ثانية .

وفي« الربيع والخريف » ، يتمثل اللقاء الجسدي دون ان يتطور الى لقاء روحي ، هذا ما نلاحظه في علاقة بيروشكا وكرم .

فبيروشكا تجسد صورة المرأة ، التي تمنح جسدها لمن تحب ، دون أن تبخل عليه بشيء لدرجة أنّها هربت من الكلية ، وأهملت دروسها في سبيل البقاء الى جانبه . وشاركت في المظاهرات التي اعقبت هزيمة ١٩٦٧ لأجله . وكانت مستعدة لمرافقته الى وطنه ، وتمنت لو تنجب منه طفلا ، ليبقى ذكرى منه ، وبالمقابل فإن كرم لم يحبها ، وعرض عليها صداقته فرفضت ، لذا صدها كثيرا ، وفي النهاية قرر قطع علاقته بها ، لأنّه لا يود خداعها ، فهو لا يرغب بالزواج منها ، فجنية القمر تنتظره هناك ، في الوطن البعيد الذي تحجب الغيوم شمسه .

فالعلاقة بينهما لم تستمر طويلا ، لأنّها لم تلب رغبة داخلية يتطلع كرم إلى تحقيقها ، فتركها تعاني ، ليبدأ تجربة أخرى مع امرأة ناضجة ،فنانة ،غجرية مجرية ، يجمعها مع كرم الصدق الفني ، والنزعة الانسانية الكامنة في أعماق كل منها . اضافة إلى أنها لا تطلب الزواج .

---

(١) الدقل ص ١٥١ . ص ١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي لا تشكل قيدا اجتماعيا .

ويمكننا القول ان ايرحكا – مغنية الملهى – تعكس بتصرفاتها ، وبفهمها للحياة الوجه الآخر للحب الذي يقوم على اختيار حر ، ورغبة مشتركة في التواصل الانساني . حب بعيد عن الانانية ، وعن مفهوم الشرف الشرقي ، فأساس الحب ان يعيش الانسان حياته العاطفية بصورة تلقائية من ذاته، دون حصار لتفتح الذات (١)

فايرجكا في نظره ، اكبر من امرأة ،وأعز من فنانه ، إنها المجر كله . وهي لا تريده أن يكون لها وحدها لأنها ، فهمت مشكلته ونصحته بالبحث عن حل لها ، وعندما قرر العودة إلى وطنه جاءته مودعة، وفرحت عندما رأته بثياب العمل المغبرة ، لانها وجدت فيه كرم الذي وجد نفسه بعد رحلة طويلة شاقة خاضها من أجل البحث عن الذات .

وتجسد بربارة في « فوق الجبل تحت الثلج » ، صورة المرأة التي تحب العالم من خلال عيني حبيبها ، فقد احبت الجمال والصحراء ، من خلال مران –، وبالمقابل أحب هو الجبال من خلالها ، خاصة العواصف الثلجية .(٢)

أحبته رغم علمها ان صداقتهما ستنتهي دون زواج .ومع ذلك أرادت أن تعيش لحظه سعادة ومتعة بمرافقته . وعندما ضلا طريقهما إلى الفندق ، وحاصرتهما الثلوج ، اكتشفت أنه يحبها بجنون ، وأنها تحبه بصدق رغم ، فارق السن بينهما . لذا رفضت أن تعود وتتركه وحيداً تائها بين الثلوج .

وفي الرواية الأخيرة لحنا مينه « الرحيل عند الغروب » ، لم تختلف صورة الحبيبة . فسلافة حبيبة فطر اللجاوي ، التي تعرفنا عليها من خلال ومضات الاسترجاع . تركها فاطر في النهاية وحيدة ليبحث عن عالم آخر .

فقد تعرفت عليه اثناء قيامها . برحلة مع بعض الأصدقاء حيث كان فاطر الدليل السياحي لهم.

---

(١)عاطف البطرس – الربيع والخريف لحنا مينه ، العلاقة بين الشرق والغرب . من اللقاء العاطفي الى الدلالة الاجتماعية . مجلة الحياة الثقافية – تونس . العدد السابع والاربعون ١٩٨٨ ص ١٠٩

(٢) فرق الجبل تحت الثلج . دار الآداب – بيروت . ط١ . ١٩٩١ . ص ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في البداية اعجبت بشجاعته ورجولته، وحبه للمغامرة التي اكتشفتها في أثناء رحلتهم الى اللاذقية ، والذي اصر من خلالها على تحويل المقهى الى غابة تصلح للشواء ، وأحضر السمك الطازج إذ «ترجل من السيارة ومعه نيجل وأحد اولاده . فتح صندوق السيارة واخرج صينية ملأى بانواع من السمك الطازج ، بعضها ما زال ينطنط او يتنفس . ازدهت سلافة ، المرأة تزدهي برجلها كتمت زهوها ، فاطر رأى الزهو في عينيها فارتاح. ما فعله ليس مبعثه استدرار اعجاب احد، رجلا كان ام امرأة ،إلا أن المرأة ، حين يومض الاعجاب في عينيها ، تقدم للرجل مكافأة ثمينة ، وهذا ما يسعده، فوق ما يسعده التوفيق في مغامرته الصغيرة» (١)

وازداد اعجابه به بعد أن أنقذها من محاولتها الانتحار، لأن حياتها مع زوجها الثري الذي أجبرت على الزواج منه لا تروق لها . وانقلب الاعجاب إلى حب جارف ، جمعهما .

لكنها كانت تحبه أكثر مما يحبها ، وكثيراً ما كان يصدها . وهذا يظهر ساديته وذكوريته ، التي يحاول فرضها عليها .

---

(١) حنا مينه – الرحيل عند الغروب . دار الآداب . ط١ ١٩٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ز - صورة المومس الفاضلة :-

يصر حنا مينه في رواياته، على ابراز الشخصية الانسانية للمومس ، التي تملك روحا نقية طاهرة ، رغم جسدها المدنس . ففساد الجسد لا يعني بالضرورة فساد الروح . فالمومس انسان يملك مشاعر واحاسيس ، أجبرتها ظروفها الخاصة على ممارسة الرذيلة ، فهو متعاطف معها ، عدا الصورة التي أوردها للمومس في « الثلج يأتي من النافذة » . حيث اظهر اشمئزازه من المهنة البغيضة على لسان فياض ، الذي مر في أحد الأحياء التي تعج باللواتي يبعن جسدهن « فرأى البيوت الحجرية والخشبية ، واللوحات المصورة ، باسماء صاحبات البيوت .. وتطل وجوه مبرقشة ببقايا اصباغها ، مخمورة ووسنانة ، وقد سألت احداهن جارتها :

ـ كيف كان الشغل البارحة ؟

ـ وسط .

فارتعش فياض ..وهذا ما يسمى شغلا ؟ البغي مخلوقة . آثرت الراحة على الكدح .. وبرغم الدوافع فانها امرأة رخيصة ، وأي رخص اكثر من أن تكون مبصقة لكل مخمور ، وتسمي ذلك شغلا ، وتضحك فوق ذلك !؟ (١)

باستثناء هذه الصورة ، فانه يظهر المومس بصورة انسانية ، فمريم السودا في «المصابيح الزرق » ، تمثل صورة المومس التائبة ، التي تبحث عن الاستقرار بعد الحياة التي عاشتها متنقلة من رجل لآخر، ووجدت الاستقرار مع نايف الفحل ، الذي طمع بمالها ، الذي نفذ بعد فترة ،ولم يبق سوى سوادها . وتملك مريم الجرأة التي دفعتها الى الاشتراك في المظاهرات . فقد حملت البيرق ورفعته ، ومضت وقد استقامت رجلاها ، واحالتها الحماسة امرأة سوية (٢)

ومع أن حنا مينة يصورها على أنها انسان يحمل قلبا ناصع البياض ، ومحبة لوطنها ، إلا أنه لم ينتزع من قلبها حقدها على الناس ، الذين احتقروها لأنها مومس . ومن هذا المنطلق ، ذهبت الى ام فارس في المصنع ، لتعلمها على مسامع رندة ان ابنها « نام في حضن امرأة مثل البدر » (٣) ليحصل على توصية للعمل ، قالت ذلك « وانصرفت شاعرة بسرور ، لأنها تحدت أبا رشيد وقهرت رندة ، وردت للناس بعض كيدهم . (٤)

---

(١) الثلج يأتي من النافذة . ص ٢٤٢.

(٢) المصابيح الزرق ، ص ٢٠٥

(٣) نفسه ، ص ٢٤٠

(٤) نفسه ، ص ٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن مشاعرها الحاقدة على الاحتلال دفعتها إلى أخذ صرة الطعام من أم فارس ، لتوصلها بنفسها إلى فارس في سجنه .

وقد قال عنها غالب هلسا إنها « شخصية إنسانية متكاملة وكلية كالرجل ، فهي زوجة مخلصة ، وجارة ودودة ، وأخت حانية ، وإنسانة من طراز رفيع ، وثورية شجاعة[١]

وهذه الخصال نجدها في شخصية – نجوى – في « الشراع والعاصفة » – المومس التي أصبحت عشيقة للطروسي ، بعد حياة قاسية قادتها إلى الانحدار لأسفل السلّم ، فقد خدعها سمان الحي وهي صغيرة ، مما اضطرها إلى الهرب من أهلها ، لتخدم عند سيد ، طمع فيها ، فتركته لتعود إلى السمان ثانية ، الذي تركته بعد أن سئم منها ، لتنتقل من مبغى لآخر ، إلى أن التقت الطروسي .

كان اللقاء جسديا بحتا ،« ثم تكرر اللقاء ، وتكرر الحديث ، ونمت العاطفة وتآلفا ، ووجدا من الوحدة والشقاء جامعا ، واقترح عليها أن تكون عشيرته» [٢] واستأجر لها بيتا ، لتتغير حياتها من مجرد مومس إلى عشيقة ، تنتظر عشيقها في بيتها ، ولم تكن تطمع في شئ سوى إرضاء رجلها ، والزواج منه ، والعيش تحت ظلاله ، « والطروسي من جانبه يرغب في أن يبقى رجلا يفرض عليها سلوكها ، ويحميها من الأشقياء ، ويجبرها على البقاء في المنزل . [٣]

ولم تلعب نجوى دورا في حياة عشيقها ، سوى أنها أعطته حليها ليبيعها من أجل شراء المركب الذي يحلم به ، ليبحر ثانية . فتطور العلاقة بينهما جعلتها على أتم الاستعداد لاعطائه كل ما تملك ، فالعلاقة لم تبق جسدية ، فتوحد الغاية ، وتوحد الرغبة في مقاومة العدو المشترك ، الذي هو بالنسبة لكليهما، المستغل ، والمستبد ، متمثلا أيضا بصاحب المواعين ، أبو رشيد ، وأمثاله ، وبالانتداب الفرنسي ، هما اللذان ساعدا على لقائهما الروحي . وكان الزواج المحطة الأخيرة لعلاقتهما .

---

(١) غالب هلسا – قراءات في اعمال يوسف الصايغ ، يوسف ادريس ، جبرا ابراهيم جبرا حنا مينه . دار ابن رشد – بيروت . ب.ت ص ١٣٩

(٢) الشراع والعاصفة ، ص ١١٩ .

(٣) سمر روحي الفيصل – الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية . اتحاد الكتاب العرب . ١٩٨٦ ، ص ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكننا القول – اضافة الى ما ذكر –إن أم حسن تمثل المرأة التي اسقطهاالمجتمع ممثلا بالرجل ، فهي ضحيته ، « وهي رغم المصير القاسي ، والعمل المضني ، والحاجة والفقر تتسم بكثير من المزايا الرائعة – منها الصبر والارادة الصلبة ، والتفاؤل بالمستقبل . ولقد شكل حدث تعرفها بالطروسي ، انعطافا في حياتها» (١) وفي حياة الطروسي ، الذي لم يفكر بالزواج قبل لقائه بها . لكنه كان يتوق للاستقرار ، وكانت نجوى رمزا للاستقرار .]

وتأتي المرأة ذات العينين السوداوين في « الشمس في يوم غائم » ، نقيض المرأة المستسلمة لمشيئة الرجل – ام حسن ، وهي نقيض لابنة العم ذات العوينات الطبية ، « الهادئة المستسلمة انها شئ اخر ، اقوى منه ، ورغم نظرة الاعجاب التي بادلته اياها ،فهي لم تتنازل عن كبريائها ، انه ابن السراي والقصور ، وهي تكره السراي والقصور ، جسورة مثل الخياط ، الذي يحبها رغم ما تمارسه من مهنة ملعونة »(٢)

فامرأة القبو ، ساقطة وشريفة ، حاقدة ومحبة ، رقيقة جريئة ، واثقة بنفسها . وقد « قتل الاقطاع والدها ، عضها الفقر ، فاضطرت إلى بيع جسدها . لكن المأساة لم تبلغ أن تطرحها ارضا .قاومت على طريقتها ، قاومت بروح ثأرية كاملة ، وانضمت الى الخياط هذا الثوري الذي يدق الأرض ، ابنة الكلب النائمة ليوقظها »(٣)

فهي ثائرة على الاوضاع ،تتحدى المجتمع ، تحقد على الاسياد ، وتسعى لاذلالهم ، لذا عندما يأتون اليها تنيمهم على الارض مع فتاة الحصير ، ولا تنيلهم نفسها ، « هذا السرير سريري وحد ي عليه انام ، ومع الرجل الذي احبه انام ، أماالذين يأتون من هناك ، فينامون على الحصير .. تلك ، ارادتي ، تلك رغبتي ، وفي سبيلها معظمهم يرفض ،وأكثرهم يقبل ، وهذه الفتاة التي تبكي ... يا إلهي كم اتوجع حين أراها تبكي ، ولكنني اقسمت ، لقد اهانوني ، واهتديت الى فكرة الحصير لأهينهم ...ليس النساء بل الرجال (٤) فهي تعلم أن المرأة مظلومة ، ومهضومة

---

(١)ماجد علاء الدين – الواقعية في الادبين السوفيتي والعربي . دار الثقافة – دمشق . ط١ ١٩٨٤ ص ٢٩٥ .

(٢)محمد عبد الملك – الشمس في يوم غائم ، انجاز ادبي باهر في الرواية العربية المعاصرة . مجلة الدوحة ، العدد الخامس والثمانون ، يناير ١٩٨٣ . ص ١٢٢

(٣) حنا مينه – هواجس في التجربة الروائية ، ص ١٠٧

وانظر ايضا ، ملك عبيد ، وبلال جنيدي – عالم حنا مينه الروائي . مجلة الثقافية السورية . آب ١٩٧٨.. ص ٢٢

(٤) الشمس في يوم غائم ، ص ٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقوق ، اينما كانت ومهما اختلفت الطبقة المنتمية اليها .

وفي بداية تعرفها على الفتى ،ظنته مثل والده وجده ،لكنها فيما بعد اعجبت به ، لانه اختار ان يكون في صف الخياط، الذي يدق الارض النائمة ، وفي صف ضابط الايقاع ، وفي صفها . وكافأته على ثوريته ، فسمحت له ان ينام على سريرها ، رغم انها حاولت من قبل ان تنيمه على الحصير ، لأنه قادم من هناك ، لكنه رفض لأنه لا يشبههم ، فهو ثائر عليهم لذا تعلم رقصة الخنجر ، « فموقفها من أسرته ، كان هو القطب الجاذب لجسده وروحه كي يكتمل انتماؤه ..، فهو أحب روحها قبل جسدها »[1] على العكس من الطروسي في « الشراع والعاصفة، الذي احب جسد نجوى قبل روحها .

وأما بالنسبة للفتاة البائسة، المجبرة على فعل ذلك الشئ على الحصير ؟ فقد اضطرت أن تكون مومسا ، بعد مقتل والدها على يد السيد الاقطاعي . وقد ظلمت مرتين في حياتها ، الأولى عندما قتل والدها ،وتخلى الجميع عن مساعدتها وكادت تموت جوعا مما اضطرها إلى بيع جسدها . والثانية عندما اجبرتها امرأة القبو على النوم على الحصير .

وهذا ما لم تستطع احتماله طويلا ، لذا خططت للهرب ، لتعيش في مدينة لا تعرف بها أحدا ، لتعمل بشرف ، وتتزوج إن وجدت من يرضى بها زوجة . وعندما لاحت لها أول بارقة أمل كادت تطير من الفرحة . فقد وعدها الفتى أن يحضرلها «سريرا لتنام عليه لا حصيرا » [1] ورضيت بناء على ذلك أن تأخذ السلسلة الذهبية منه ، وانتظرته أن يفي بوعده ، وعندما طال انتظارها ، ظنت أنه خدعها ، فهربت من البيت ، ومن المرأة التي تجبرها على عمل شئ لا ترضاه مع اناس تكرههم.

وتتكرر صورة امرأة القبو من خلال شخصية زنوبة في « بقايا صور » التي تبدو ومنذ البدء امرأة تتحدى مواضعات المجتمع من حولها وتتطور هذه اللامبالاة إلى مواجهة. تسكرها كالرجال ، وتبيح نفسها لمن تشاء [3]

---

(١)شمس الدين موسى – شمس في يوم غائم . ص ١٥٣

(٢) الشمس في يوم غائم ، ص ١٩٩

(٣) حنا مينه – هواجس في التجربة الروائية . ص ٢٩

(٤) يوسف ضمرة – المرأة في عالم حنا مينة الروائي ص ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان بيتها بجوار بيت العائلة لكنهم في البداية لم يهتموا بوجودها ، إلى أن وقع حادث لها كان سببا في تغيير موقفهم منها . فقد تعرضت في احدى الليالي لاعتداء من بعض الرجال وهي في حالة سكر ، فصرخت طالبة النجدة ، مما دفع الوالد للخروج ليلا لنجدتها ،وأوصلها الى بيتها ، ولم يرجع إلا في الصباح.

ويمكننا القول انها كانت « تعلن بالفعل انها انسانة ذات سيادة – اذا جاز هذا التعبير السياسي – ولذا فإنها ترفض أن تنام مع أي واحد من رجال القرية ، ثم تتقدم خطوة اخرى ، فتحب الأب السكير المشرد مع زوجته وأولاده، وتقطع كل صلة لها مع الآخرين ومن خلال العلاقة الانسانية بينها وبين الأب من جهة ، وبينها وبين عائلتة من جهة اخرى ، تتفتح في داخلها نوافذ ليدخل منها هواء الانسان ، تصبح اكثر قدرة على الاعتراف بذاتها ، وتدرك أنها كائن حي » [١] يملك مشاعر حية خاصة ، تدفعها إلى الجرأة ، فقد رفضت ان يصادرها تدجين الواقع ، وخرقت العرف والاخلاق المتعارف عليها بأنها حسنة .

وقد شجعت الفلاحين على سرقة مخزن الحبوب التابع للسيد الاقطاعي ، سارق تعب الفلاحين وجهدهم وحين اكتشف الاقطاعي الامر، جن جنونه ، وأمر رجاله بضربها لانها المحرضة ، ومع ذلك لم ترضخ لهم . ووسمت زوجاتهم وأمهاتهم ،بوسام الاخلاق ، والعهرو .. واخيرا صعدت على سطح المخزن ، وأشعلت النيران فيه . فما كان من رجال الدرك إلا أن قاموا باطلاق الرصاص عليها ، لتلقى نفس مصير زوجها .

اما زينب في « المستنقع » فتمثل صورة المومس التي اضطرتها الظروف لاختيار طريقها الشائك . وقد التقاها الفتى في المبغى ، عندما ذهب اليه مع الاخوين « قلفاط » ، بعد انتهاء مهرجان التنكر . وانتظرهما في الخارج ، ولم يشعر بنفسه أنه نام ،وعندما أفاق وجدها بقربه ، كانت تنظر اليه وتبكي ، « كانت في هيئة ضراعة ، رأت في الطفل صورة شخص آخر عزيز عليها ، وتريد ان تحس أنه قريب منها ، وأنها ما زالت في بيت الاهل [٢] وقد اثارت هيئتها شفقته ، وتمنى لو يستطيع ان يجد من يرضى بها زوجة ، فدموعها غفرت لها ، واغتسلت بها .

والشئ اللافت للنظر ان حنا مينه ، يصور المومس على انها فتاة طاهرة ، ذات قلب رقيق

---

(١) يوسف ضمرة – المرأة في عالم حنا مينا الروائي ص ١١٤

(٢) المستنقع ، ص ١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تثير الشفقة ، وأنها على استعداد للتوبة ، والاندماج في المجتمع ، إذا لقيت من ينتشلها من المستنقع الغارقة فيه .

هذا ما نلمسه في « نهاية رجل شجاع » ، فلبيبة ، امرأة غير صالحة ، التقاها مفيد ، أثناء هربه من السلطات الفرنسية ، « كان اللقاء جسديا ، أعجب بها ، وانقلب الاعجاب إلى حب جارف (١) ، فقد أحبته وأخلصت في حبها ، ولأجله تركت عملها في المبغى ، وعملت في الريجي ، وقاومت الذين حاولوا ارجاعها إلى طريق السوء ، وأثناء سجنه زارته ، وانتظرته طويلا .

وعندما سجن ثانية اثر معركته مع البطحيش ورجاله ، صانت نفسها لأجله ، وتعذبت لأجله لأنها أحبته (٢) ، ولذا تزوجته . ولم تتخل عنه بعد مرضه، وصراعه الطويل مع السكري ،الذي أفقده رجليه . فبحثت عن عمل « أمنت رزقها ورزقه ، أظهرت وفاء نادرا ، يليق بامرأة نادرة ، امرأة رجل شجاع ، امرأة عامل في الميناء ، امرأة بحار وإن لم يبحر ، بحار صار البعد أمنيته ، شوقه ، حنينه ، صار أغنيته المفضلة ،والموال البعيد الذي يسمعه في نهاره وليله في يقظته ومنامه » (٣)

ولكن سعادتها لم تدم طويلا . فقد انتحر مفيد ، ليتركها وحيدة ، لا تدري ما تفعل ؟ لكننا فيما نظن أنها لن تعود إلى عملها السابق ، وفاءالمفيد . ومثلما قاومت الذئاب وهو في السجن ، فإنها ستقاومهم وهو في القبر

---

(١) نهاية رجل شجاع ، ص ٧١ .

(٢) نفسه ، ص ١٠٢

(٣) نفسه ، ص ٣٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

البناء الفني

١- المكان والزمان

٢- اللغة

٣- صورة المرأة بين الشخصية الانسانية والنموذج .

٤- الواقع والرمز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان والزمان :-

إن الرواية التي تجسد بعداً انسانياً صادقاً ، لا بد ان تحوي أبعادا ثلاثة هي :-الانسان ، والزمان ، والمكان ، فاذا ، افتقدت الشخصية الانسانية جماليات الزمان والمكان ،افتقدت نكهة التاريخ والتجربة الحضارية الانسانيةوصدق الواقع .

ومن هنا يمكننا القول ، انه من الصعب الفصل بين المكان والزمان في أية دراسة . فمجرد التواجد في المكان هو استمرار زمني ، والتحرك في المكان انما يتحقق في زمان . والزمان بدوره ، لا قوام له بغير المكان ،بل هو مقياس الحركة في المكان . لكننا من الناحية المنهجيه ، نبدأ بدراسة علاقة المكان بالمرأة في روايات حنا مينه ، ومدى تفاعله معها ، ومن ثم ننتقل للحديث عن علاقة الزمان بها .

أ- المكان :-

يعد المكان جزءاً مهما في البناء الروائي ، فاذا كانت الشخصيات والاحداث ، والسرد والحوار عناصر حيوية في بناء الرواية ، فان للمكان دوراً هاماً في هذا البناء وما يهمنا في هذه العجالة ، معرفة مدى ارتباط الشخصية بعلاقة متحركة ،و متذبذبة بالمكان . فالمكان يحوي ماضي الشخصية وحاضرها ، وهو الذي يحدد سلوكها واتجاهاتها ومواقفها ، «وهوالذي يصوغ وعيها ، فسطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيراتها وفعالياتها المباشرة ،إلى اعماق التكوين النفسي للشخصيات ». (١)

فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ، ومن جانب آخر ، إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها . (٢) فمن خلال معرفتنا لطبيعة المكان نستطيع معرفة نفسيه ساكنيه وطريقة حياتهم ،وكيفية تعاملهم مع الطبيعة، لأنه يؤثر على نفسيه الشخصية . وبالتالي يجعلها تتصرف وفق ذلك ، « فكثيراً ما يعكس – المكان– ما يجول بخاطر الشخصيات من الاحاسيس ،سواء كانت فرحا ، أو حزنا ، أو شعورا بالامن أو بالخوف» (٣)

---

(١) صبري حافظ – الحداثة والتجسيد المكاني . مجلة فصول . العدد الرابع ، ١٩٨٤ . ص١٧٢

(٢) سيزا قاسم – بناء الرواية . دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت .ط١ ١٩٨٥ . ص ١١٥

(٣) انجيل بطرس سمعان – دراسات في الرواية العربية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ ص ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يلجأ بعض الروائيين إلى وصف المكان الذي هو في الحقيقة فيه وصف للشخصية ،التي تعيش فيه فدلالاته وايحاءاته قد تعكس ذات الشخصية [١] . فالمكان له الدور الكبير في تشكيل شخصية الانسان ، وفي تحريكها في عالميها الداخلي والخارجي ، السرّي والعلني . وان أي تحول في ماهيته وصورته ، قد يؤدي إلى تحول في سلوك الشخصية ونفسيتها .

فالمعاناة التي يواجهها الانسان في مكان ما ، قد تدفعه نحو ايجابية الفعل لتتجاوز حدود المكان الضيق . لذلك فان « الحالة النفسية وتطورها لدى الشخصية تجعلها ترى المكان الواحد ، بأكثر من رؤية تبعا لتطور المزاج والكون الفكري» [٢] .وبالتالي تكرهه أو تحبه تبعا لحالتها النفسية ،فقد تضطر ان تعيش في مكان ما نتيجة ظروف قاهرة، مما يؤثر على ذاتها ونفسيتها . وقد يسبب لها الذل مما يدفعها للبحث عن مكان آخر .

وقد ظهر تأثير المكان على المرأة في روايات حنا مينه ، إذ لعب دوراً كبيراً في التأثير عليها، وعلى سلوكها ، ونفسيتها ، مثلما لعب الزمن الدور نفسه ، فالشخصية الانسانية لا تظهر بوضوح في غياب عنصري الزمان والمكان ، فحركة الشخصيات محددة بأماكن معينة ، تؤثر في سلوك الشخصيات في فترة زمنية معينه . وكما ذكرنا سابقا ، قد يكون للمكان دور بارز في تحديد سلوك المرأة ، وفي التأثير علي نفسيتها . ففي « بقايا صور » لعبت قرية السويدية دوراً كبيرا في تجسيد الخوف والكآبة في نفس الأم .فالبيت كان اشبه بخيمة في قفر، ومن كل الاطراف تعصف بها الرياح . ومن كل الانحاء تندفع اليها قطعان الذئاب ، ويحوم اللصوص حولها ، والأم وأطفالها تحت رحمة هذا الكابوس . كان الصراخ لا يفيد ،إذ ليس حولهم ، الى مسافات بعيدة ، سوى بيوت متناثرة في حقول من شجر التوت . لذا أرادت أن تضع وراء باب البيت حجارة ، لكن زوجها أفهمها ، أنهم لن يأتوا ، لأنهم لا يملكون ما يستحقون السرقة [٣] والمرأة الفلسطينية القادمة من الكويت إلى لندن مع زوجها المريض ، احساسها بالغربة بدا واضحا عليها فقد هدها التنقل من مكان لأخر ،و موت زوجها في بلاد الغربة جعلها تبكي وتتألم ، ولم تعرف كيف تتصرف؟ [٤]

---

(١) للمزيد انظر ، سيزا قاسم بناء الرواية ، ص ١١٠ ، ص ١١١ .

(٢) عبد الفتاح عثمان – بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) ، مكتبة الشباب – مصر ١٩٨٢ . ص ٨٠

(٣) انظر ، بقايا صور . ص ٥٨ ، ص ٨٦

(٤) انظر ، حمامة زرقاء في السحب . ص ١٣ ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذهاب بيروشكا الى بيت كرم ، أثر عليها ، وعلى سلوكها ، فاعجابها بالبيت ، وبما يحويه من تحف شرقيه ، واعجابها بصاحبه ، دفعها إلى الهرب من الكلية ، إلى درجة أنها أُهملت دروسها ، وخرجت على النظام الداخلي للكلية (١)

ولم يقتصر تأثير المكان في تحديد سلوك المرأة فقط ، بل لعب دوراً كبيراً في التأثير على نفسيتها . فالنظرة إلى المكان تتأثر بالمزاج النفسي للشخصية الروائية والحالة النفسية وتطورها لدى المرأة ، قد تجعلها ترى المكان الواحد بأكثر من رؤية تبعا لتطور المزاج النفسي والكون الفكري .

فالأم في « بقايا صور» ، كرهت السويدية ، لكن فيما بعد وهي في الأكبر ، أحست أن مر السويدية بات حلاوة بالنسبة لعلقم الاكبر. ففي السويدية كانت تذهب الى المختار لتستجديه ، وكان يشفق عليها في بعض الاحيان ، اما هنا، فهي تحس انها حرة امام السادة وعبده للحاجة . (٢)

وقد ازداد كرهها للأكبر ، بعد قضاء الجراد على كل شئ . فالمواسم ضاعت ، ولا سبيل الى اللقاط ، او تعفير الزيتون . والفلاحون الذين يواجهون المجاعة لن يجدوا قرشا لرقع حذاء ، او شراء حلوى من الوالد .

وأُجبرت على الخروج الى الحقول لمكافحة الجراد ، وهي نفساء . ولم ينقذها من وضعها المزري سوى السرجان عبده ، الذي اجبر المختار على معاملتهم بصورة لائقة ، ورغم ذلك ، قررت الرحيل الى المدينة . (٣)

وفي المدينة تغيرت نفسيتها ، رغم ان حياتها لم تتغير للأفضل . فوجودها في حي الصاز اشعرها بالامن والطمأنينة . فهي لن تجوع هنا ، لأن اهل المدينة لا يجوعون ، وهنا تستطيع ارسال ابنها الى المدرسة .

أما ابنتها قدسية في « القطاف» ، فتختلف عنها فمعرفتها لما يلاقيه الفلاحون من السيّد الاقطاعي ، ووعيها لما تعانيه اسرتها ، ولد عندها نوعا من التحدي . لذا قررت عدم ترك البورة

---

(١) انظر الربيع والخريف ، ص ٦٤ ، ص ٢١٠ ، ص ٢٦٢

(٢) بقايا صور ، ص ٢٨٧

(٣) نفسه ، ص ٣٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل انتهاء موسم القطاف ، مهما تكن المضايقات التي تتعرض لها .

ورغم كره رندة ، وأم فارس في « المصابيح الزرق» ، للمعمل الذي يعملن فيه ، « ففي جو القبو الكبير المستطيل ، كنفق طويل ، حيث ينعقد غبار يتصاعد من كل صوب ، ويتكاثف ذرات ذرات ، فيثقل الهواء ، ويجعله نيكوتينا نتناً ، فاذا داخلته جهامة العمل ، وامتزج بالعتمة الرصاصية السائل في القبو، استحال سردابا لا يطاق ، سرداباً لا يدري المرء كيف تحيا فيه العاملات يشتهين رؤية الشمس ، ويستنشقن اشعتها اذا هلّت خصلة منها ، عبر النافذة . ومن كل اطراف السرداب تطل نظرات يكاد العمل يذهب ببريقها ،وتدور عيون في محاجرها الفارغة ، تفتش عن أمل يمدها بأسباب الحياة» (١) وزاد وجود رشيد افندي في المعمل ، وتحكمه فيهن من كرههن للعمل– إلا انهن مضطرات للعمل فيه ، وفي اعماقهن كن يتمنين بقاءه ، لأنه لو لم يكن موجودا ، لتدهورت حالتهن الاقتصادية للأسوأ.

وقد أثر المكان أيضا على نفسية أم حسن في « الشراع والعاصفة » ، وراجعة في « مأساة ديمتريو » ، وكاترين الحلوة في « حكاية بحار » .

فام حسن احست بعدم الاطمئنان عندما أسكنها الطروسي في بيت قريب من المبغى ،لكن فيما بعد تغيرت نظرتها ، لانها احست انه يحبها ويخاف عليها .

أما راجعة فلم تشعر بالراحة في بيت زوجها ، إذ كانت تشعر أن شيئا ، في بيته يشلّها، فقد كان كبيرا ، وفي كبره تضيع ، وتحس بحاجة ملحة إلى ملء الغرف حتى تضيق ، وتحنّ دون انتباه إلى كوخ ، فالكوخ يلائمها . (٢)

وبالمقابل أحبّت منزل والدها . كان صغيرا وجميلا ، وكانت مرتاحة فيه ، وراحتها الكبرى تجدها في مكتبة والدها الضخمة التي تحوي كتبا ذات قيمة .

أما كاترين الحلوة ، فتمنّت لو أنها لا تعود للاذقية ، لأنه يضعها في قبضة الذين تتمنى البعد عنهم . وتمنّت لو يطردها صالح من الحي ، لتذهب الى الأحياء التركية ، وتقيم عند بعض من تعرفت اليهم . مع أن هذا الانتقال في مثل ظروفها صعب إلا أنه مقبول ، فكآبة المكان أثرت

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ١١٧

(٢) مأساة ديمتريو ، ص ١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على سلوكها ، وجعلتها كئيبة وخائفة . فرغم أن السويدية بلدتها الأصلية إلا أن سوء المعاملة التي تلقتهامن المختار ، وأهل البلدة جعلتها تحس بالغربة .وكذلك ساهم غياب زوجها في ازدياد كآبتها وخوفها . ولتدفع هذا الاحساس ، كانت في الليالي الكئيبة ، تقص على اطفالها قصصا تسليهم بها ، وتسلي نفسها . واذا ناموا ، وبقيت وحيدة تلجأ الى الغناء .

وفي قرية الاكبر ، رحل الوالد كعادته ، وتسبب غبار التين في مرض الأم التي بقيت وحيدة مع أطفالها ، لا شئ يؤنسها سوى الجوع والمرض ، ووحشة المكان ، مما اضطرها للموافقة على ذهاب ابنها وابنتها الى النذر لأخذ الطعام . (١) وبعد سرقة مخزن الحبوب من قبل الفلاحين ، احست ان كرهها للأكبر ازداد ، وودت لو ترحل عنها ، فقد خافت ان تتهم وزوجها بسرقة المخزن ، لكن زوجها رفض ، لأن رحيلهم سيولد الشك في نفس صاحب المخزن.

وفي اللاذقية – التي رحلو اليها بعد تسليم اللواء لتركيا – لم يتغير احساسها . فعندما رأت البيت الذي يسكنه اخوها عبدالله وأسرته، لطمت خديها وهي ترى بؤسه . ويوم وجدت بيتا في حي القلعة ، بكت كثيرا لانه معتم ورطب ، لا تدخله الشمس ، وتمنت لو استطاعت البقاء في الاسكندرونة . (٢)

ومثلما أثر البيت الذي سكنته الأم في « بقايا صور » على نفسيتها وسلوكها . فقد أثر على أم سعيد في « الدقل » . فالبيت كان يشبه الكهف بقبته المستطيلة المعقودة بالحجارة ، والنور لا يكفي .إذ لم تكن فيه نافذة ، والمنطقة كانت مأوى للصوص والاشباح التي تحوم على أطراف الميناء . مما اشعرها بالخوف الشديد من هذا المكان ، وبالكره وكان خوفها يزداد في الليالي الممطرة . فترجو ابنها ألا يخرج من البيت في مثل هذه الليالي،إذ كانت الوحشة التي تشعر بها في أيام العواصف تشتد حتى لتبعث القشعريرة في الجسم . فالريح تعوي ، وهي تمرق باندفاع شيطاني عبر الكوى في واجهات الكهوف ، وفي شقوق هذه الابنية الخربة ، ويصفر الاعصار في اندفاعه المجنون ، مستثيرا البحر ،وتعوي الكلاب ، وتموء القطط التي تأوي الى الكهوف الفارغة ، خوفا من غضب الطبيعة ، ويقبل الموج من الغرب ، والشمال الغربي حانقا غضوبا (٣) ومثلما اثر المكان على الام في « بقايا صور» وفي « الدقل» ، فقد أثر على زنوبة في « بقايا صور »

---

(١) بقايا صور ، ص ٢٣٦

(٢) انظر ، القطاف ، ص ٤٢

(٣) انظر ،الدقل ص ١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، وعلى كاترين الحلوة في « حكاية بحار » ، وكان له دور بارز في تحديد سلوكهما فزنوبة كرهت الاكبر وأهلها ، اثر مقتل زوجها ، ووفاة ابنها ، فموتهما أدى الى توليد الكآبة في نفسها ، فأدمنت على الكحول ، ومن ثم باعت جسدها [١]

ووجود كاترين الحلوة في مرسين ،حيث يكثر الأتراك . ووجود صالح في السجن ساعدا على عودتها إلى سيرتها الأولى ،فباعتهم جسدها ،وشجعتهم على التردد على حي الشرادق حيث تسكن .وفروسيا في « الولاعة » كرهت بلدتها لذا تركتها وذهبت الى الاسكندرونة وقد تجلى تأثير المكان على سلوك بعض الشخصيات النسائية في « المصابيح الزرق » ، فوجود أم صقر ، وأم فارس ، ورندة ، في حي القلعة ، الذي يمتاز بالبيوت المتراصة ، الممتلئة بالسكان الفقراء ، اضطرهن للعمل في البيوت ، والمصانع .

وقد أثر ايضا على سلوك ام نجوى في « الشراع والعاصفة » ، وعلى سلوك كل من فتاة الحصير في « الشمس في يوم غائم» ، والمرأة الفلسطينية في « حمامة زرقاء في السحب » ، وببروشكا في « الربيع والخريف » .

فنجوى ، أغراها البقال، وتركها فريسة تنهشها الذئاب ، وتاهت بين المواخير ،إلى أن التقاها الطروسي ،الذي أسكنها في بيت خاص بها ، وجعلها تتصرف التصرف المحتشم البعيد عن النزق والعفرته ، فأصبح استسلامها الحاضر تكفيرا عن تمردها السابق ، فبقدر ما كانت عفريتة في صغرها ، وطائشة ، وعابثة بكل شئ ، اضحت صابرة ، قانعة ، راضية بالقليل . لقد اصبحت فتاة الأمس امرأة اليوم . [٢]

وفتاة الحصير ، اتسمت نظرتها إلى مدينتها وسكانها بالعداء الشديد ، لأنهم اضطروها لممارسة ما هو مرفوض على حصير خشن ، مما دفعها إلى الهرب ، بحثا عن حياة أفضل في مكان آخر [٣]تعيش فيه ، وتقطع صلتها بكل الذين تعرفهم ، وتسلم نفسها للرياح تقودها في الاتجاه الذي تريد .

---

(١) انظر ، بقايا صور ، ص ٢٩١

(٢) انظر ، الشراع والعاصفة ، ص ١١٦

(٣) انظر الشمس في يوم غائم ، ص ١٨٦ ، ص ١٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تلعب أعراف المكان و تقاليده ، دورا بحكم نفسية الشخصيات النسوية وممارساتها . فوجود الاسرة في قرية الأكبر – « بقايا صور » – ومرض الأم ، جعلهم يتصرفون وفق عادات القرية وتقاليدها . فلعبت الخرافات التي كانت سائدة فيها دورا كبيرا في معالجتها . إذ اقترح عليها رجال القرية أن يقوموا باطلاق النار على خاصرتها – الدريئة – للقضاء على مرضها .

وكذلك لعبت دوراً في معالجتهم للملاريا والديزنطاريا التي اصيبوا بها ، فالحشرات الموجودة على شجرة التين التي سكنوا تحتها ، تجمعت فوقهم لتمص دمهم ، فشربوا بولهم . لمعالجة الملاريا .

وسكنهم في « قرة أغاش » ، الموحلة ، المليئة بالاشواك ، وكروم التين ، وفلاحوها الجهلة ، اضطرهم ان يصبحوا مثلهم . ففي بداية مكوثهم فيها . ضحكوا من اولا د الفلاحين لانهم حفاة عراة، الا انه بعد تأقلمهم مع الجو ، أصبحوا يقلدونهم [١]

وفي حي الصاز في « المستنقع » ، قامت الأم بمساعدة اطفال الحي ، بصيد الحرباء لاخذ دمها ، ووضعة في عين ابنتها الضريرة ، لتشفى ، حسب ما قيل لها.

وقد لعبت اعراف اللاذقية وتقاليدها دورها في عمل الام وبناتها –« القطاف » – فلم يستطعن العمل خادمات في البيوت ، لأن عمل الخادمة هنا يعتبر مستقبحا ، وتدعى صانعة ، وسمعتها مدعاة للريبة ، ولم تكن العائلات حتى أشدها فقراً ، تقبل بأن تعمل فتياتها في بيوت الآخرين ، لذا كان لا بد للام وبناتها من البحث عن عمل في الريجي [٢] .

وكذلك لعبت دورها في التأثير على سلوك ام حسن في « الشراع والعاصفة » ، فقد اضطرتها تقاليد بلدتها إلى الهرب منها لتسير في طريق الضياع .

وراجعة في «مأساة ديمتريو » ، لم تستطع أن تطلب الطلاق من زوجها – رغم كرهها له ، ورغم أنها تحلم باليوم الذي تستطيع فيه العودة الى بيت والدها – لأنها تخاف من الناس ، الذين سينهشونها بكلامهم القاسي. وسيسيئون إلى ذكرى والدها ، وإلى اسم عائلتها ، وسمعتها الشخصية .

---

(١) بقايا صور ، ص ٢٢٣

(٢) القطاف ، ص ٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثلما كان لأعراف المكان وتقاليده دور بحكم نفسية الشخصيات ، وبالتالي التأثير على سلوكها ، فان لماهية المكان وصورته دورا مماثلا . فقد يؤدي التحول في ماهية المكان وصورته إلى تحول في سلوك الشخصية ونفسيتها ،فالمعاناة التي يواجهها الانسان في مكان ما قد تدفعه نحو ايجابية الفعل لتجاوز حدود المكان الضيق ، فالمعاناة المكانية تؤدي الى معاناة نفسية ، فبالرغم من وجود اشخاص كريهين ،إلا أن النفس المفعمة بالامل تتحرك لتغيير الواقع . وقد يكون تأثيره سلبيا على الشخصية ، وهذا ينعكس على افعالها .

فجميع الاماكن التي ذهبت اليها الأم في « بقايا صور » أشعرتها بالخوف ، وبعدم الاطمئنان ، وانعكس هذا سلبيا على شخصيتها ، وعلى سلوكها وأفعالها .

وعلى العكس منها ابنتها قدسية في « القطاف » ، فرغم المعاناة التي تعرضت لها وأسرتها في قرية « ح» من قبل المطعون والشوباصي ، إلا انها لم تؤثر عليها سلبيا ، بل على العكس دفعتها إلى الايجابية في أفعالها . فنفسها المفعمة بالامل جعلتها تتحرك لتغيير الواقع من خلال قيامها بتكييل الزيتون للفلاحين حتى لا يتلف .

والمعاناة التي تعرضت لها زنوبة في السويدية ، دفعتها إلى الايجابية في أفعالها . في محاولة منها لتجاوز حدود المكان الضيق ، فعلى الرغم من وجود أشخاص تعافهم نفسها ،إلا ان روحها المفعمة بالأمل حركتها ، في محاولة لتغيير واقعها ، وواقع الفلاحين فشجعتهم على سرقة الحبوب من مخزن الاقطاعي .

وجوجا ، في « الربيع والخريف » ، عانت بسبب سلوكها المريب ، وسمعتها السيئة ، لكنها حاولت اثبات ايجابيتهارغم غرقها في الوحل ، فتعاونت مع البوليس المجري ، من أجل القبض على محمد حميش وزملائه.

وامرأة القبو ، في « الشمس في يوم غائم » ، أثبتت ايجابيتها ،رغم ما سمعته من كلام أهل الحي ، ورغم نفسيتها المحطمة .إذ وقفت في صف الذين يدقون ابنة الكلب النائمة لايقاظها .

ورنا في « حمامة زرقاء في السحب » ، أجبرها المرض على المكوث في المستشفى لفترة طويلة ، ومن ثم المكوث في البيت ، لكن معاناتها انقلبت إلى افعال مضادة ، فأصرت على متابعة دراستها ، لتثبت لنفسها أولاً ، ولوالديها ثانياً ، أنها شفيت تماما ، وأن بامكانها ممارسة حياتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاعتيادية . وعندما انتكست صحتها ثانية ، لم تستسلم ، وطلبت من والدها احضار المدرسين إلى البيت . فمعاناتها الجسمية والنفسية دفعتها إلى محاولة تغيير واقعها الذي تعيشه .

وبربارة في « فوق الجبل تحت الثلج » ، أحبت الجبل في بداية ، صعودها وحبيبها عليه ، لكن تساقط الثلج بغزارة ، وفقدانها الطريق الموصل إلى الفندق ، جعلها تكرهه وتمنت لو أنها لم تأت اليه . وعندما طلب منها مرّان أن تعود وتتركه وحيدا ، حتى لا تفترسها الذئاب ، رفضت . وظلت إلى جانبه رغم كرهها للمكان ، فمعاناتها النفسية دفعتها إلى محاولة البحث عن وسيلة للنجاة ، دون جدوى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الزمان :-

إن الزمن الحقيقي يختلف عن الزمن الروائي ، فالزمن الروائي هو زمن مصغر للزمن الوجودي أو الخارجي ، وهو توسيع لمحتوى اللحظة الآنية ، وذلك من خلال انعكاسات الزمن الخارجي على الشعور الانساني ، وبالتالي عن طريق استرجاعه وتجسيده في صور فنية . (١)

والزمن في الرواية زمن مرن ، فالروائي متحرر من قيوده حيث « يستطيع أن يعيد اجيالا وقرونا بحركة من يده دون أن يحطم الخيال » (٢)

ويختلف الباحثون في نظرتهم للزمن ، ومدى ارتباطه بحياة الانسان ،فمنهم من يعتبر الزمان أكثر التصاقا بحياة الانسان اليومية من المكان،وذلك لأنه« يدخل في نسيج الحياة الانسانية ،ولا يحصل الا ضمن نطاق عالم الخبرة ، أو ضمن نطاق حياة انسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات» (٣)

ومنهم من يرى أن علاقة الانسان بالمكان أكثر التصاقا وسهولة من علاقته مع الزمان فتأثير الزمن على الشخصية أقل من تأثير المكان، « فالمكان أكثر التصاقا بحياة البشر من حيث أن خبرة الانسان بالمكان ، وادراكه له يختلفان عن خبرته وادراكه للزمان ، فبينما يدرك الزمان ادراكا غير مباشر ، من خلال فعله في الاشياء ، فإن المكان يدرك ادراكا حسيا مباشرا ، يبدا بخبرة الانسان لجسده » . (٤)

لكننا نرى ان الشخصية الانسانية لا تظهر بوضوح في غياب عنصري الزمان والمكان ، فهي مرتبطة بها ،وتتفاعل معها ، وتتبادل التأثير والتأثر .

فالروائي لا يعالج الفترة الزمنية كلها ، بدرجة واحدة من الدقة او الانتباه ، فقد يقسم الفترة الى فترات ، وأقسام زمنية مختلفة ، بعضها يعالج بتطويل شديد، وبعضها يتم القفز من خلاله ، أو يلخص تلخيصا سريعا ، وبعضها الآخر يصرف النظر عنه بجملة او بجملتين . في

(١) نعيم عطية – دلالة الزمن في الرواية الحديثة .مجله المجلة .ع ١٧ ،فبراير ١٩٧١ ص ٢٠ ، ص ٢٢

(٢) يرناردي فوتو – عالم القصة . ترجمة محمد مصطفى هدارة . عالم الكتب – القاهرة ١٩٦٩ .ص ١٩٥

(٣) هانز ميرهوف – الزمن في الادب . ترجمة سعد رزوق . مؤسسة سجل العرب ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة – نيويورك . ١٩٧٢ . ص ١٠٤

(٤) يوري لوتمان وأخرون – جماليات المكان . عيون المقالات . باوندونغ ، الدار البيضاء . دار قرطبة . ط٢ ١٩٨٨ ص ٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين تمر فترات لا يأتي الكاتب على ذكرها [١] على نحو ما نجد في بعض روايات حنا مينه .

فقد يغيب فترة زمنية عن بعض شخصياته النسائية ، فلا يتابع حياتها خطوة خطوة . فمثلا ، كاترين الحلوة ، في ثلاثية « حكاية بحار » ، غبنا عنها أكثر من عشر سنوات ، لم نعرف عن حياتها خلال تلك الفترة شيئا ، لنعود اليها بعد كل تلك السنين ، لنجدها قد تزوجت ثانية بعد وفاة زوجها .

وانقطعنا أيضا عن لبيبة ، في « نهاية رجل شجاع » ، ما يقارب الخمس سنوات ، لنجدها بعد مرورها قد تركت المبغى ، وعملت في الريجي .

فالروائي « عندما يتلاعب بالتتابع الزمني أو المنطقي للأحداث من حيث التقديم والتأخير وغيرها ، فإنما يسعى لإيجاد نوع من التأثير الفني على قرائة » . [٢]

والزمن في الرواية قد « لا يترائى لنا أزمنة متعددة ، تمتد حينا وتقطع اخر ، وتتداخل أحيانا ، حتى لا تكاد نتبين لها حدودا وفواصل» [٣] ، فهو يتذبذب ويتأرجح بين الحاضر والماضي والمستقبل وللروائي دور كبير في اختيار الطريقة المناسبة للتعامل معه بمستوياته الثلاثة، وفي ابراز مدى تأثيره على الشخصية الروائية ، وعلى نفسيتها ، تبعا لنظرة الشخصية للزمن .

فقد ترتبط المرأة في روايات حنا مينة بالزمن ارتباطا وثيقا ، وقد ترى فيه عدوها الاكبر الذي تتمنى الخلاص منه فقد يمنحها الحياة التي يسودها الطمأنينة والأمن وقد يمنحها الحياة التي يسودها الشقاء ، وعدم الاستقرار ، مما ينعكس سلبيا على تصرفاتها .

فالزمن بمستوياته الثلاثة ، تختلف نظرة المرأة اليه ، فقد ترتبط بالماضي وتتمنى عودته ، لانه وفر لها الدعة والأمن . وقد ترى فيه الماضي السئ . فهي ترى في الحاضر الزمن الذي يوفر لها السعادة والهناء . وقد تجد في كليهما الزمن الذي حاصرها بالشقاء والبؤس ، فتتطلع الى مستقبل أفضل تشرق فيه الشمس .

فنجوى في « الشراع والعاصفة » ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بحاضرها الذي تعيشه ، فهي تحيا

---

(١) للمزيد انظر ، موريس ابو ناضر – الالسنية والنقد الادبي . دار النهار – بيروت ١٩٧٩ ص ٩٨ ص ١٠١٠

(٢) نفسه ، ص ٩١ .

(٣) ليلى درغوث – المكان والزمان في يوميات – نائب في الارياف . مجلة الحياة الثقافية – تونس . العدد الثامن والخمسون . ١٩٩٠ ص ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياة هانئة مستقرة في ظل الطروسي ، لذا تتمنى بقاء حاضرها ، ليثمر عنه مستقبلا مفعما بالطمأنينة والاستقرار لأنّها تعيش على أمل أن يأتي اليوم الذي يقتنع فيه الطروسي بسلوكها ، وباخلاقها ليتزوجها ، وبذا ينتزعها من ذكريات الماضي الأليمة ، مثلما انتزعها من الماضي نفسه ، الذي سبب لها الآلام والاحزان .

فشعورها بوطأة الزمن الماضي وثقله ، جعلها تهرب الى الحاضر ، عندما سنحت لها اول فرصة لتنعم بالأمن .

وهذا ما نجده ، ايضا ، متجسداً في شخصية لبيبة في « نهاية رجل شجاع » ، فقد كرهت الماضي الذي اضطرت ان تعيشه متنقلة من مبغى لاخر .ومن قواد لآخر . تقتنصها الذئاب . لكنها احبت حاضرها ، لأنها تعرفت فيه على مفيد ، الذي انقذها من براثن الشيطان ، لتعيش حياة نظيفة هادئة . واملها الكبير منصب على المستقبل ، بأن تعيش حياة هانئة مع مفيد . لكن المستقبل خدعها ، فقد انتحر مفيد وبقيت وحيدة ، تواجه الذئاب المفترسة .

وقد ترتبط الشخصية بالماضي ، وتكره حاضرها الذي تعيشه ، فارتباط فتاة الحصير ، وامرأة القبوة ، في « الشمس في يوم غائم » . بالماضي ،يكاد يكون ارتباطا عميقا . لان حياتها الماضية امتازت بالاستقرار ، اماالحاضر فمليئ بالمآسي والآلام .

ففتاة الحصير نعمت بالهدوء والسعادة، قبل مقتل والدها على يد الاقطاعي ، وبعد مقتله ، لم تجد من يمد لها يد المساعدة ، مما اضطرها إلى السير في طريق لاترضاه ، وأجبرت على النوم على حصير خشن في قبو معتم رطب مع اشخاص تكرههم، لذا كرهت حاضرها ، وحلمت باليوم الذي تستطيع فيه الخلاص . ولأن آمالها ارتبطت بالغد الافضل ، هربت من امرأة القبو لتبحث عن آمالها المفقودة .

وشعور رنا ، ومارسيل ، وليديا في « حمامة زرقاء في السحب » ، مشابه لشعور فتاة الحصير فالحاضر بالنسبة لهم يمثل الكآبة والحزن . فرناتكرهه لأنّه أجبرها على ترك مقاعد الدراسة ، لترقد على سرير الشفاء في أحد مستشفيات لندن ورغم تعاستهاإلا أنّها لم تفقد الأمل بالشفاء ،والرجوع إلى المدرسة لتواصل مشوارها التعليمي .

وليديا وامها مارسيل ، تكرهان الحاضر الذي اجبر الام على الرقود في المستشفى . ونظرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليديا . للمستقبل تكاد تكون يائسة ، لانها تعلم مصير والدتها .

وقد تتأرجح نظرة المرأة للزمن ، فقد تكره الماضي ، وفي الوقت نفسه تجدنفسها فيه ، وكذا الحاضر والمستقبل . تبعا لحالتها النفسية .

فشعور عزيزة ، في ثلاثية « حكاية بحار » ، ازاء الماضي عدائي ، لانها اجبرت على الزواج من عجوز ، تعافه نفسها . وبالمقابل فإن شعورها ازاء الحاضر متذبذب ، فهي تكرهه ، لأنها مجبرة على العيش تحت سقف واحد مع رجل لا تحبه. وفي الوقت نفسه تحبه ، لأنها استطاعت الانتقام لنفسها .

والأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و« المستنقع » ، و « القطاف » ، فعلى الرغم من أنها تكره الماضي الذي أجبرها على البقاء وحيدة ويتيمه ، بعد فقدها لأختها التي ضاعت ، ووفاة أخيها. إلا أنها تتمنى لو يعود لها أخوها . الذي سيحميها من قسوة الزمن والناس . لكن أملها بالمستقبل خفف عنها . فهي تحلم باليوم الذي تستطيع فيه أن تسكن المدينة لترسل أطفالها الى المدرسة .

وقد يعمد الروائي إلى اسلوب الاسترجاع الزماني في مواضع ،لينقل اخبارا ، يعود زمن حدوثها إلى ماقبل بداية الزمن الروائي . على نحو ما نرى في « الشراع والعاصفة » ، إذ لجأ حنا مينه إلى هذا الاسلوب ، باسترجاعه قصة أم حسن قبل لقائها بالطروسي . وقصة ماريا والطروسي

وكذا ثلاثية « حكاية بحار » ،تقوم على الاسترجاع الزماني . وعلى نحو ما يتضح أيضاً في « المصابيح الزرق » ،فقد استرجع بعض المقتطفات من حياة الأرملة ، مؤلفا بذلك نوعا من الذاكرة القصصية ،التي ربطت الحاضر بالماضي . والرحيل عند الغروب تقوم أيضا على الاسترجاع .

وقد يلعب الزمن دورا في التأثير على حياة الشخصية ، وعلى تفكيرها ،وموقفها فمرور الزمن قد يجعلها ترضى بما لم ترضه سابقا .

فالأم في ثلاثية « حكاية بحار» ، لم توافق زوجها على الانتقال من مرسين الى الاسكندرونة . وفي بداية مكوثها فيها ، كرهتها . لكنها بمرور الوقت الفت البيت والمدينة .وخفت شكواها . وتحولت في موقفها تماما عندما دخل ابنها المدرسة ، فقد شعرت ان العودة الى الوطن كانت ضرورية جدا، ولولاها ما ذهب اولادها الى المدرسة ،وما سنحت لهم الفرصة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتعلم العربية ،لغة ابائهم وأجدادهم[١] .

وبعد اختفاء زوجها، وسجن ابنها ، عملت خادما . وكانت لا تكف عن طرح الاسئلة عن الوالد، ومتى سيعود ؟ على ابنها وهو في السجن .وبمرور الزمن ،وفي السنة الاخيرة من سجن ابنها ، كفت عن طرح الاسئلة حول الوالد ، فقد أصبحت تشعر أنه لن يعود .

وبعد رحيلها إلى اللاذقية ،كان شعورها سلبيا ،إلا أنه بمرور الزمن ،خفت شكواها من وجودها في اللاذقية،ومن عملها في الريجي ، وألفت عملها، وأصبحت تفتخر به .

وقد أثر الزمن أيضاً على الأم في ثلاثية ، « بقايا صور » ، و« المستنقع » ، و« القطاف » ، فإصابتها بالروماتيزم ، نتيجة تأثير تعب السنين على جسدها وصحتها ، أجبرها على ترك الخدمة في بيوت أثرياء الاسكندرونة .

ولعب الزمن ايضا، دوراً في تغيير مبادئ راجعه في « مأساة ديمتريو » . فعندما كانت في بيت والدها تبنت منطقه ، وها هي الآن في بيت زوجها ، عليها أن تتبنى منطقاً آخر، هو منطقه .إذ يجب عليها ان تمحو فكرها وعقلها ، ومنطقها . وهذا واجب يخون واجبا آخر ،منطق يناقض منطقا آخر [٢]

ومع أن مرور السنين اثر على بعض الشخصيات النسائية في روايات حنامينه ، الا انه لم يؤثر على كاترين الحلوة، ولا على مشاعرها. فعلى الرغم من مرور خمسة عشر عاما على اختفاء صالح حزوم ،إلا أنها ما تزال تحبه. ولم تبلغ السنين أن تقهرها ، أو تعجزها عن الاغراء والفتك ،فما تزال تنتقل من زوج لآخر ، ومن عشيق لآخر.

وقد يكون للزمن دور في تحديد نفسية المرأة ، على نحو ما نرى في « الربيع والخريف » . فالفتاة المجرية تنتظر منذ يوم الاثنين موعدا مع صديق لليلة السبت ، وتعلق على ذلك اهمية خاصة .تفهم مقدار حب الآخر، الآخرين ، من يوم الموعد ، فاذا جاء السبت ، ولم تكن قد ارتبطت بموعد تعتبر نفسها خائبة . وقد ترفض الموعد اذا جاء في يوم السبت ذاته ،لأنه يعني ان الصديق الذي يواعدها ، لم يجد سواها ، وكان فاشلا مثلها ، وان عليها في قبول دعوة كهذه ، ان

---

(١) انظر ، حكاية بحار ، ص ٢٥٢ ، والدقل ، ص٩٧ .

(٢) مأساة ديمتريو ، ص ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلتحق مثله بالعربة الاخيرة في القطار ، وهذا ما يسؤوها جدا . (١)

وعلى نحو ما نرى أيضاً في « فوق الجبل تحت الثلج » ، فالواقع الذي كانت فيه بربارة ومران ، وهما تحت الثلج والموت يتهددهم في أية لحظة ، جعلها تصاب بالكآبة .

وحين بدأت الساعات تمر دون مخرج شرعت مشاعر الأسى والتوتر تتفجر في اعماقها ، وهذه المشاعر نبعت من صميم واقعهم الذي فرضه عليهم طبيعة المكان المتواجدين فيه . ومن مرور الوقت ، بسرعة دون أن يأتي أحد لنجدتهم . فالزمان والمكان كانا همّاً في قلبهما ـ وسبباً في يأسهما من النجاة .

(١) الربيع والخريف ، ص ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- اللغة : -

تعتبر اللغة عنصراً مهماً من عناصر البناء الروائي ، فبوساطتها وحدها ،تتحول الحكاية والفكرة إلى خطاب سردي حواري . فهي « تجعل الماضي واقعاً معاشاً ، وتمتد بالحاضر إلى رؤية مستقبليه مشحونه بالتوقعات . كما تحمل الاشعاعات الفكرية والعاطفية » (١)

ويمكننا القول ، إن هناك اسلوبين لبناء العالم اللغوي للرواية ، هما ، السرد والحوار ، اللذين يرتبطان ارتباطا عضويا بالبناء العام للرواية .

ولعل أهم وظيفة لها هي « الكشف عن مستوى الشخصية وتحديد طبيعتها » (٢) فعن طريق السرد يمكننا اكتشاف آراء وأفكار الشخصيات ، ومدى اتفاقها واختلافها ، لكننا لا نستطيع قراءة فكر الشخصية بطريقة واضحة،وجليلة ، إلا من خلال الحوار ، الذي يهدف ،الى الكشف عن « نفسية الشخصية المتحاورة أوالايحاء بصدى الحدث فيها ، أو الاسهام في تطوير هذا الحدث . بما عسى أن يترتب على الحوار من فعل » (٣)

والحوار الروائي نوعان ، حوار خارجي لا يكشف إلا عن ظاهر الشخصية من خلال حوارها مع الشخصيات الاخرى . وحوار داخلي ، يعتبر « أداة تعميق وتحليل واستبطان للشخصية والحدث القصصي ، إذ يقوم على نجوى البطل وحديثه مع نفسه بما يرد على خاطره من أفكار تثير جوانب الموقف وأبعاده » (٤)

وتختلف طريقة رسم الشخصية من روائي لآخر، فمنهم من يرسمها عن طريق السرد الملحمي والتمثيلي . ومنهم من يرسمها عن طريق الحوار . وآخرون قد يدمجون بين الحوار والسرد ، بحيث يتفقان معا في تقديم صورة متكاملة عن موقف الشخصية من الحياة العامة ، فتقدم من الخارج ، مع عدم اغفالها من الداخل .

وقد يعمد بعضهم إلى رسم الشخصية عن طريق الاسترجاع ، أو المذكرات ، أو الرسائل.

وسنحاول فيما يأتي توضيح بعض الجوانب المتعلقة بلغة المرأة في روايات حنامينه . مع

---

(١) نبيلة ابراهيم – نقد الرواية . النادي الادبي – الرياضي . ١٩٨٠ ص ٤٤، وانظر ص ٥٢

(٢) ابراهيم السعافين – تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام دار المناهل للطباعة والنشر – بيروت ط٢ ١٩٨٧ ص١٥٩.

(٣) فتوح احمد – الحوار الروائي . بجله فصول . العدد الثاني ١٩٨٣ . ص ١٨٣

(٤) يوسف نوفل – قضايا الفن القصصي . المطبعة العربية الحديثة – القاهرة ١٩٦٧ ص ك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التركيز على الجوانب التالية :

١ . الاسلوب الذي استخدمه حنا لتقديم سخضياته النسائية .

٢ . طبيعة اللغة المستخدمة من قبل المرأة ، للتعبير عن حزنها او فرحها .

٣ . مدى استخدام المرأة للغة التراثية ، وللعامية والفصحى.

يمكننا القول ،إن حنا مينه استخدم أساليب متنوعة ، في تقديمه لشخصياته النسائية، فقد قدمها عن طريق السرد الذي تخلله الحوار الداخلي أوالخارجي . وعن طريق استرجاع الذكريات ، والمذكرات . مع تفاوت في نسبة استخدامه لكل اسلوب . وغلبة الاسلوب السردي الوصفي على الاساليب الاخرى.

فمثلا ، مريم السودا في « المصابيح الزرق » رسمها من الخارج لاعتماده طريقة السرد المباشر . إذ قدم لنا ملامحها الخارجية ، دون أن يعطينا هذا الاسلوب السردي شيئا ذا قيمة يساعدنا في الكشف عن شخصيتها ، ومن ثم امكانية تحديد ملامحها النفسية الداخلية . ولم يستطع الحوار الخارجي الذي دار بينها وبين الشخصيات الأخرى من ازاحة اللثام عن شخصيتها ونفسيتها.

فقد قدمها بالطريقة السردية بعيدا عن المونولوج الذي يساعد بصورة مباشرة في الغموض الي اعماق نفسيتها .

« وفي القاعة الاخرى الملاصقة لغرفة صقر وأمه تقيم مريم السودا ، وزوجها نايف الفحل ، ولا تعود كلمة سودا الى كنيتها ، بل الى لونها ، وقد كانت تثور بادئ الأمر على من يناديها بهذا الاسم . لكنها حين تخلو الى نفسها ، تسحب المرأة من صندوقها الصغير ، وتتفرس في وجهها وتضحك :

– العمى انا سودا بالفعل ..ربي كما خلقتني ، حظ ، يلعن الحظ ، لا مال ولا جمال ، فاذا اجتمعت بغيرها انكرت هذا الواقع . ورفضت الاعتراف به وحين يحرجها الجيران تقول :

– إذا قلتم سمرا فهذا صحيح ، أما سودا ؟

فيقاطعها الجيران :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– بل سودا ..

– سمرا ..

– سوداء ..

– أنا سمرتي غامقة

– انت سودا

– الكلام على الدّم

– يا حبيبي .

وعندئذ تنتصب واضعة يديها في خصرها مستعدة للعراك ، فإذا سكت من حولها .. تقول وهي تلف سيكارتها:

– المهم أنني أعجب زوجي » [1]

فحوارها مع الشخصيات الاخرى ، جاء مناسبا لمستوى شخصيتها ، فهي امرأة جاهلة ، تعيش في حي فقير . وعكس ايضا مستواها الاجتماعي ، فهي تائبة ، جريئة ومستعدة للعراك . وكشف ايضا عن المستوى الثقافي والاجتماعي للحي الذي تسكنه ، فهم اناس بسطاء في تفكيرهم واحاديثهم .

وقدم الأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و « المستنقع » ، و « القطاف » بنفس الاسلوب السردي الحواري . اضافة إلى اسلوب استرجاع الذكريات ، لأن « استرجاع الماضي او بالاحرى استذكاره ، يؤلف نوعا من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر بالماضي وتفسره وتعلله ، وتضيء جوانب مظلمة من أحداثه . » [2] فجميع هذه الاساليب وظفها لاضاءة ماضيها، اضاءة تسمح بالحركة ولا توقفها ، فالذكريات مثلا ، لها أهميتها التي لا تنكر ، فمن خلالها عرفنا عن ضياع أختها ،وتشردها وبقائها يتيمة وحيدة ، بعد موت أخيها . « أما ذكريات

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ٣٢

(٢) موريس ابو ناضر – الالسنية والنقد الادبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأم فكانت طويلة ، كليا لي الخوف ، أو مرة كماء الكينا » (١)

« وفيما وعيته من هذه الذكريات، كانت أمي يتيمة الأبوين ، تربت عند أقربائها في بلدة السويدية ، على الشاطئ قرب انطاكيا .. وأختها الأكبر ، ضاعت في « السفربر » وقيل إنها تزوجت وعاشت في بلاد اليونان ... » (٢)

وتقديمها بالاسلوب السردي الملحمي ، جاء على لسان ابنها ، المتعاطف معها إلى درجة أنه صورها أنها انسانة مومنة ، قديسة ، مضطهدة ،ومتحملة لظلم الناس ، وظلم زوجها . وكشف لنا عن علاقتها الاجتماعية ، وعن حالتها الاجتماعية البائسة ، وعن رحابة صدرها ، وطيبتها التي لاحد لها . فهي تتعامل مع الناس بكل طيبة ، وتتمنى الخير للجميع ، رغم أنها واجهت الكثير من المصاعب في حياتها .

وقد وصف الفتى ايضا ، بلغة حزينة ، ما واجهته أمه من متاعب أثناء عملها خادما عند المختار ، وهم في السويدية ، « توجها في الصباح الباكر من اليوم التالي إلى عمل السخرة ، بقينا ، شقيقاتي وأنا في البيت .. وطالت غيبة الوالدة ، فبكيت ، ونمت على ركبة الشقيقة ، ومع الغروب ، وكنا قد اغلقنا الباب ، وتكومنا على الحصير ،عاد الوالدان منهكان ، وانطرحا في الزاوية ، وقبلتني الوالدة ، وقالت أنها غربلت كومه من القمح ، حتى انقصم ظهرها ، والتهبت راحتها ، وامتلأتا بالفقاقيع الصفر ، وأنها ستعود غدا للغسيل ، وتنظيف بيت المختار »)(٣)

فاسلوبه السردي كشف عن واقعها الاجتماعي السئ ، الذي اضطرها للعمل خادمة في البيوت . وكشف أيضا عن بؤس بيتها الذي تعيش فيه إذ « كان بيتنا مستطيلا من اللبن الطيني ، مقسوما إلى نصفين بحائط ، أحدهما للدواب والآخر للسكن . ولما لم تكن لدينا دواب، فقد ظل هذا القسم فارغا ،تدور فيه وتنكت دجاجات ،جاد بها الاقرباء ، على الوالدة . وقد جمعنا في زاوية منه الحطب والجلة ، وفي الزاوية الاخرى ، قرب كوة عالية في الجدار ، كان موقد حجر وطين » (٤)

---

(١) بقايا صور ، ص ٥٩

(٢) نفسه ، ص ٥٩

(٣) بقايا صور ، ص ٨٤

(٤) نفسه ، ص ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثلما أضاء السرد جوانب عديدة من حياتها ، أضاء الحوار جوانب أخرى من حياتها البائسة ،وما تعانيه من ظلم المختار وجبروته . وكشف أيضا عن النظرة الطبقية للمرأة الفقيرة في مجتمع اقطاعي بائس . فالشتائم التي وجهها المختار لها (كلبة ، كذّابة ، محتالة ..) وتهديده لها ، وضحت مقدار ما تعانيه .

وبالمقابل ، نستطيع القول ، أنه لا يوجه هذه الشتائم لزوجته ، مع أنه لم يكن لهاقيمة ، ومع انها كانت مهضومه الحقوق مثلها مثل سائر النساء ، الا ان وضعها الاجتماعي لا يسمح بذلك ، فهي تنتمي لنفس طبقته .

ففي أحد الايام استدعى المختار الأمّ ليسألها عن زوجها . « وقال لها مهددا :

– هرب زوجك ؟

– لم يهرب يا مختارنا ،ذهب ليسترزق ..

– كذابة .. هرب زوجك ليأكل اموالي .. يا أولاد الكلب أشفقت عليكم فسلمتكم البستان والبيت . فتحت لكم حسابا في الدكان ، وبعد شهور يهرب زوجك ، يتركك انت ! ماذا أفعل بك أنت ؟ من يسدد الدين ؟ وموسم القز ؟ اسمعي تعرفين من أنا ؟ أنا اللوشيه .. أستطيع حبسك في هذا البيت . أستطيع شنقك على « التوتة »مثل كلبة بلا اصحاب .. وعند الاقتضاء أبيع اولادك .

– وما ذنب أولادي يا مختار ؟ لا تشنقهما بغير حق . نحن طيبون ، لا نأكل حقك .

– لا أحد يقدرأن يأكل حقي ..

– حتى لو قدرنا لن نأكله .. زوجي شريف وانا امرأة مستورة .

– زوجك ابن كلب ، وأنت محتالة .. تنتظرين الصيف لتهربي . أعرف نواياكم .. كنت أحبسك مع اولادك من الآن ، ولكن عليكم أن تشتغلوا في البستان .. ولهذا أتركككم في بيتكم .. ابقوا فيه ، ولكن لا تطلبي ذرّةملح ، ولا قطرة كاز .

ـ وكيف نعيش ؟الأولاد جياع ياخواجة الياس» .[1]

---

(١) بقايا صور ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالألفاظ التهديدية المستخدمة من قبل المختار ،وضحت لنا مقدار السيطرة التي كانت في أيدي الاقطاعين ، لدرجة أنهم يستطيعون تسخير رجال الدرك لخدمة مصالحهم. ومع أن حنا مينه لم يستخدم اسلوب المونولوج الداخلي للكشف عن نفسيتها .إلا ان هذا لا يعني أنه أهمل التحليل النفسي لشخصيتها . فقد فسر شخصيتها بناء على سلوكها ، وأثر كل حدث عليها ، وتغير هذا الأثر بتغير الحالات ، وبهذه الطريقة كشف عن أعماقها.

فغياب الوالد المتكرر ، وبقاؤها وحيدة مع اطفالها في الليالي الموحشة، كان يشعرها بالخوف ، « وكان سهرنا معها يعطيها بعض الشجاعة في مواجهة خوف يتمطى عبرالحقول . يزأر مع الريح ، يندس في المطر والظلمة ، ويزحف صامتا كالهول ، فتلتقطه حواسها ، وتتيقظ مجفلة ، متوقعة في كل لحظة أن تسمع نقبا في الجدار أو طرقا على الباب» (١) وكشف السرد أيضا عن التحول الذي طرأ على نفسيتها بمرور الزمن ، وبتغير المكان ، فأثناء اقامتها في « قرة اغاش » اطمأنت نفسيتها نوعا ما . « فقد قبلت دون اعتراض هذه المرة ، أن تخدم في بيت السيد ، وتعمل مع الوالد في الحقل ، مستشعرة بعض الطمأنينة لقربنا من المدينة ، حيث بامكاني أن اذهب إلى المدرسة ، وبامكانها أن ترى أختنا الخادم ، وتأمن شر ذلك الضياع ، الذي ترسب في أجفانها ، خوفا تنتفض له كلما تذكرته » (٢)

فالحقول الدلالية للألفاظ واضحة جدا . إذ أنه يستخدم الألفاظ المناسبة لخدمة الموقف الذي يريد تصويره . والأمثلة كثيرة ومتنوعة . لكننا اكتفينا بايراد بعض الشواهد .

فالألفاظ المستخدمة – مثلا – ، من قبل السارد ، ومن قبل زنوبة في « بقايا صور » ، كشفت عن نفسيتها،ومدى استهتارها ومجونها ، فقد كانت تسكر كالرجال ، وكثيراً ما كانت تتعرض لاعتداءات ، أثناء عودتها إلى البيت . وكشفت أيضا عن وضعها الاجتماعي ،ومستواها الثقافي . فاللغة المستخدمة تناسب طبيعتها . فهي مومس ، تندرج في أسفل السلم الاجتماعي ، لذا لا يهمها انتقاء الالفاظ المهذبة . وحديث السارد عنها ،مناسب لطبيعة شخصيتها « عند ما وصلنا كانت زنوبة تضحك، كانت متمددة على الارض الموحلة ، وهي تضحك . حسبناها مجنونة لأننا ، حتى ذلك الوقت . لم نكن قد رأينا امرأة سكرى . وكان الذين ضاجعوها قد هربوا ، وبقي الذين جاؤوا للنجدة ، أو الذين تظاهروا بذلك ،عندما اقترب الوالد بفانوسه

---

(١) بقايا صور ، ص ١٠٠

(٢) المستنقع ، ص ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أنزلوا فستانها المنشمر وغطوا فخذيها ، وأنشأت هي تغني وتضحك ،وتتلفظ بكلمات بذيئة جداً ، أجفلت منها الوالدة، وابتعدت باتجاه البيت ، بينما شرع الوالد بكلمات زاجرة ، يطلب من الموجودين أن ينصرفوا ، ويحذرهم من الاتيان بفعله كهذه في المستقبل .

– وما شأنك انت مع هذه العاهرة ؟ صاح رجل !

– أمك هي العاهرة (ردت زنوبة) .

– اخرسي يا فاجرة ! قال آخر .. جاء الأوادم .

– أهلا وسهلا با ابن .. الملعونا ! [١]

فالالفاظ المكشوفة التي قالتها زنوبة (عاهرة ، ابن الملعونا ..) من المستحيل ان تقولها الام مثلا أو بناتها ، أو زوجة المختار ، لان وضعهم الاجتماعي وتربيتهم واخلاقهم لا تسمح بذلك .

ورغم ألفاظها التي كشفت عن مستواها الاجتماعي ، إلا أن الالفاظ التي استخدمها السارد للحديث عنها تنم عن حبه لها « فهي تعالت ، في نظره ، ككل انثى ، من حمأة الخسة الاجتماعية للمجتمع الرجالي الخسيس ، إلى ذروة المجد الانساني ، حيث التجلي بالروح ، والسمو بكرم الفعل ، ومجدلية المرأة بطيبها الذي يطهر كل دنس ، ويعطر كل شميم في السمعة » [٢]

ولم تختلف طريقة تقديمة لأمرأة القبو ، وأم الفتى ، والأخت ، وابنة العم في « الشمس في يوم غائم » ، عن طريقته السابقة . فالاسلوب السردي الوصفي الذي يتخلله الحوار الخفيف ، كشف عن مدى اعجابه بامرأة القبو . حيث اختار لغة شاعرية جميلة لوصفها . « عندما بدأ العزف ، ودوى التصفيق بايقاع كما اوصى الخياط ، شعرت برجفة في يدي ، ارتبكت وكدت أعدل ، لكن عينين فاتنتين كانتا امامي ، ورأيت على ثغر امرأة ابتسامة صافية كالشمس في سماء زرقاء .. ولأجلها ، ولكي اكرمها فاني قادر على الرقص ولو كان فيه موتي !! [٣]

وبالمقابل ، وصف ابنة عمه ، بمفردات تكاد تكون جافة ، فهي ذات عوينات طبية ، وهو

---

(١) بقايا صور ، ص ٢٧٠

(٢) بقايا صور ، ص ٢٩٣

(٣) الشمس في يوم غائم ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فشكيبة في « الياطر » قدمت بلغة سردية ، شاعرية، رقيقة ، متقلبة ففي بداية تعارفها وزكريا ، استخدم الفاظا تدل على اشتهائه لها . فعندما رآها لاول مرة في المرعى مع ابقارها ، لم يفكر إلا بالطريقة التي يستطيع من خلالها ، اجتذابها اليه ، فهو في هذه اللحظة لا يملك مالا ، وحتى لا يملك خبزا ، « والنصف الأعلى لهذه البلوطة يابس ، ومظهري المتوحش لا يغري .. ، إلا إذا كانت مجربة أو أرملة » (١)

لكنه فيما بعد ، تغيرت لغته. فقد اختفت فترة طويلة لتثبت له أنها ليست صيداً سهلاً ،وعندما ظهرت ثانية نظرت إليه نظرة احتقارية وذهبت . فقد عبرت من خلال لغتها الخاصة (الصمت ، والنظرة الاحتقارية) عن مشاعرها اتجاهه ، مما دفعه للتوسل اليها بعدم الذهاب « لا تذهبي يا شكيبة ، توسلت اليها ، وأنا اتقدم ، كانت تبتعد ، فجربت الاسراع في خطوى ، وعندئذ ركضت ، وانقطع الامل في الوصول اليها » (٢)

فاللغة التي استخدمها زكريا ، للتعبير عن فشله في اجتذابها اليه ، مستمدة من الطبيعة – الغابة والبحر – مثل الدب ، القصبة ، السمك ، الطعم ،القشة ، الجذع ، الريح .. ، ويتضح هذا من خلال حواره التالي مع نفسه :

« ما أسخف صيد الدّب على دبق ، بقصبة وسمكتين أريد اصطياد امرأة لا الدّب علق ،ولا المرأة أكلت الطعم ، الغريق يحسب القشة جذعا ، كنت غريقا ، وكانت قشتي في مهب الريح ، وقد تعبت من السباحة وراءها ، فاستسلمت للتيار ،وتركته يجدفني ، وتبتلعني . »(٣)

ولم يكتف حنا مينه بالاسلوب السردي الحواري لتقديم المرأة ، بل قدمها بأساليب أخرى منها اسلوب المونولوج الداخلي، على قلته ، وأسلوب المذكرات الذي استخدمه مرة واحدة فقط في « حمامة زرقاء في السحب » .

فقد قدّم نجوى في « الشراع والعاصفة » باسلوب السرد الذي تخلله الحوار الخارجي ، وكذلك ، عن طريق المونولوج ، الذي يساعدنا في التعرف على آمالها واحلامها ، وعلى نفسيتها القلقة . فخوفها أن تفقد الطروسي ، دفعها إلى استخدام لغة تناسب نفسيتها القلقة – (الفقدان

---

(١) الياطر ، ص ٤٠

(٢) الياطر ، ص ٢٠٧

(٣) نفسه ، ص ٢١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

،الانتحار » – ، « اذا فقدته فقدت حياتي ، سأنتحر بالقاء نفسي في البحر » [١]

لكن ثقتها بنفسها ، جعلتها تؤمن بأنه سيعود اليها ، لذا عبرت عن هذا الامل ، بمفردات مفعمه بالطمأنينة « (سأبقى ، الرضى ، الحب ..) « سأبقى ، لابد أن يعود إليّ ، إنه يحتاجني لأن امرأة غيري لا تستطيع أن ترضيه كما ارضيه ، ولا أن تحبه كما أحبه ، يا ترى لماذا أحبه بهذا المقدار .» [٢]

وبالمقدار نفسه أضاء المونولوج جوانب كثيرة من نفسية ابنة العم في « الشمس في يوم غائم» فحبها لابن عمها ، وتجاهله لها ، جعلها حزينة ، وقلقة . فعبرت عن حالتها هذه ، بمفردات تكشف عن نفسيتها المتعبة ، القلقة « صغيرين كنا ، وفي المدرسة تلميذين و رفيقي طريق بعمره ، ولكن دون قدرة على الحياة ، بجانبي كان سيد ، وآحسه في داخلي ، وأبدا لم يخطر له أنه في قلبي .. يعاملني كقاصرة ، يشفق عليّ ، يذبحني بشفقته، أكون قوية حتى اراه فاضعف . أكون طويلة حتى أراه فاقصر . انا طفلة تتعثر ، تتلعثم ، ترتبك بين يديه . » [٣]

ولعب المونولوج دوراً كبيراً ، في اضاءة جوانب كثيرة من حياة راجعة في « مأساة ديمتريو» . فقد كشفت لغتها عن واقع المرأة العربية بشكل عام ، التي قد تضطر الى الزواج من شخص لا تحبه . ارضاءا لمجتمعها الذي لا يرضى للفتاة ان تبقى عانسا .

وكشف أيضا عن طبيعة زوجها المختلفة عن طبيعتها،فهي تربت على المثل ، والمبادئ الاشتراكية . في حين أن زوجها عاشق ملايين .

فنفسها حزينة ، كئيبة ،غير راضية عن واقعها الذي تعيشه ، ومع ذلك تأنف من البوح عماتعانيه أمام الاخرين . لذا كانت تبوح لنفسها ما تعيشه « من كان يظن ان العفريتة ، الصغيرة ،المحرضة في المدرسة على التظاهر الخطيبة في تظاهرات البنات محرجة معلميها بالحوار والنقاش ، تنتهي إلى زواج فيه الرقم سيد الحديث ، وفيه المال سيد الوجاهة ،وفيه الركض وراءه سباق ، هو الرياضة اليومية الممارسة والمسموح بها ؟ .. ان زوجي عاشق ملايين .. وعاشق كلام على الملايين ، ومن الصعب بالنسبة اليه ان يحلو حديث في شأن آخر . أما أنا فما زال عليّ أن اقف

---

(١) الشراع والعاصفة ، ص ١١٤

(٢) نفسه ، ص ١١٤

(٣) الشمس في يوم غائم ، ص ١١٥ .

انظر ايضا ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ ، ص ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمام المرآة ،وأن أخاطب نفسي بدل أن اخاطب نفوس الآخرين » [١]

ولغة واصل التي استخدمها في حديثه عنها ، كشفت عن نظرته للمرأة بشكل عام ، فهي بضاعة ، لا أهمية لها ، ويجب أن تكون سليمة ، غير مغشوشة ، كأن المرأة جماد لا تفكر ولا تتحرك ويريد تحريكها كيفما شاء . « هذه البكارة أساسية بالنسبة لي ، لا لأن التقاليد تتطلبها ، أو لأن الشرق يقتضيها ، بل لأنني كتاجر ، كنت أريد تسلم بضاعة غير مغشوشة ، بضاعتي كانت سليمة ، وأحسست منذ تلك اللحظة .إن ملكيتي ازدادت . صرت مالكا لزوجة أيضا ، وصارخو في إلى اطمئنان » [٢]

وكما قلنا سابقا ، فقد استخدم حنا مينه اسلوب المذكرات الممتزج بالسرد والحوار ، لاضاءة شخصية رنا في « حمامة زرقاء في السحب » .

فقد أبانت مذكراتها التي كتبتها عن مستواها الثقافي والاجتماعي ، فهي فتاة مجتهدة مثقفة ، والدليل على ذلك حفظها للاشعار ودلت ألفاظها أيضا عن نفسيتها القلقة ، المتقلبة تبعا لتطور مراحل مرضها .

فبعد اجراء العملية لها ، ظنت أنها شفيت تماما ، ولذا فهي تشكر ربها على هذه النعمة التي أسبغها عليها « رباه أكاد لا اصدق ، ألهذه الدرجة أنت تحبني ؟ انني لا أكاد أنتهي من طلب أمنية ما حتى تستجيب لي ، وتحققها في اليوم ذاته، أو في الايام المتقلبة .إني اشكرك يا إلهي على النعم التي أسبغتها علي .إن اموري ما كانت تتيسر بهذا الشكل لولا إيماني بك ، لقد شفيتني من مرضي الذي داهمني » [٣]

لكن لغتها هذه المفعمة بالأمل ، انقلبت بعد اشتداد المرض عليها ،إلى لغة حزينة بائسة : « هذا اليوم ، من اسوأ الايام بالنسبة الي ، مللت مللت ، زهقت من الاستلقاء في الفراش ، والجلوس على الكرسي ذي العجلات ، شعرت أن معنوياتي العالية ،بدأت تنهار ، اتألم ، يا ربي ! متى يتوقف الالم ؟ إن حالتي اليوم كحالتي الأمس ، حين اجلستني الممرضة على الكرسي الخاص بالمشلولين مجرد رؤية هذا الكرسي تبعث الرهبة في نفسي . أنا اذن مشلولة ؟ رفضت في البدء .قاومت ، لكن الممرضة أصرت علي ، فنزلت عند اصرارها، جلست في كرسي

---

(١) مأساة ديمتريو ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ . انظر ايضا ، ص ٣٣

(٢) مأساة ديمتريو ، ص ٥٢ ، انظر ايضا ص ٤٣ ، ص ٦٨

(٣) حمامة زرقاء في السحب ، ص ٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقعدين ، صبرت على البلوى ، حاولت تناسي وضعي ، كابرت ، وأخيرا طلبت ان اعود الى السرير ، وما ان جلست فيه بدأت بتدوين خواطري . ماذا اقول ؟ كيف اصف عذابي »[1]

فمن خلال مذكراتها ، سرنا في طريق الأحزان والآلام ، التي عبّرت عنها بمفردات تناسب وضعها ، ونفسيتها المضطربة. لكننا من خلال حوارها الخارجي ، ومن خلال السرد والحوار لم نلمس تشاؤمها . بل على العكس ، عبرت لغتها عن تفاؤلها، وعن تمسكها بالمستقبل المشرق الذي تحلم به . فهي لا تريد ان تزيد من احزان ابيها لذا تكابر بشجاعة .

فالالفاظ المستخدمة تدل على الامل (الابيض ، العينين ،الهدايا ، الشفاء ..) .

«والصبية السمراء ، ابنة السادسة عشرة ، تتمدد على السرير ، تحدق بعينيها السوداوين الرائعتين ، في السقف الابيض ، وتبتسم لانها شفيت ، ولأن ذلك الشئ الصغير قد اخرج من عمودها الفقري ، وغدا او بعد ، تخرج معافاة، وتجوب الشوارع دونما حاجة الى مقعد ، وسترى كل ما حواليها ، امامها ، وراءها ، على جانبيها ، ولن تشبع من النظر ، وستنتقى الهدايا ، وتشتريها لأمها واخوتها .

ـ أنا سأنتقي الهدايا .

– انتقيها كما تريدين .

– وستكون جميلة .

– جميلة كما تشائين .

– وكثيرة.. لكل الذين هناك ، لكل الذين ينتظرون عودتي .. بعد هذه العملية الناجحة.

– نعم يا حبيبتي ، ستكون كثيرة .. بقدرما ترغبين .

– كم أنا سعيدة .

– يجب أن تكوني سعيدة .

– ما كنت اصدق انني سأشفى ..

– صدقي أنك شفيت .

– وأن العملية ستكون سهلة .. وسيخرجون ذلك الشئ الصغير من عمودي الفقري .

---

(١) حمامة زرقاء في السحب ص ٢٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– لقد أخرجوه الان ..

– انت واثق انهم أخرجوه ؟

– تماما ..

– الطبيب قال ذلك ؟

– الطبيب نفسه .

– إذن يجب ان تشتري له هدية مناسبة.. وغداً ، من سورية سأرسل له هدية دمشقيه » (١)

* * *

وننتقل في الحديث إلى نقطة هامة، وهي علاقة اللغة المستخدمة بطبيعة الشخصية ونفسيتها.

نستطيع القول إن حنا مينه يوظف اللغة لخدمة موضوعه الروائي . ولذا فإن اللغة قد تميل إلى الحدة والتوتر ، فتنقل الينا اشكال القهر والاضطهاد التي تعاينها المرأة . وتكشف كذلك عن معاناتها . وقد تميل إلى الليونة ، لتكشف عن ضعف المرأة وانكسارها رغم الذي تعانيه .

وبشكل عام ، يمكننا القول ، إن العبارة المستخدمة ، تكشف عن حقيقة ما يدور في نفس الشخصية . فاللغة المكثفة الحادة تشي عن طبيعة تعاني وتتألم ، بعكس العبارة الممطوطة التي تشي عن الاستقرار والهدوء . فلكل شخصية طريقتها في اختيار الكلمات ، واسلوبها الخاص في التعبير عن مشاعرها.

فالأم في « بقايا صور » ، رغم انها تعاني من القهر ، والظلم الفقر ، إلا أن لغتها لم تكن حادة ،وهذا يتلاءم مع طبيعتها المسالمة ، الصابرة .إذ كشفت لغتها عن الظلم الاجتماعي الذي تعانيه من زوجها ،ومن المجتمع ممثلا بالمختار . والذي انعكس بالتالي عَلى نفسيتها، فأصبحت ذليلة، تحس بالهوان .

فعندما ذهبت إلى المختار تستجديه الطعام ، صرخ بها ،وشتمها ،وضربها ، ومع ذلك لم تثر في وجهه . « حاولت الأم ان تشرح له وضعنا، فسحب عصاه، وخرج اليها . ركض رجل فأمسك بالعصا ، وتقهقرت الأم ما استطاعت ، لكن قدم المختار، طالتها في بطنها ، فسقطت في الوحل تنشج وتستجير .

---

(١) حمامة زرقاء في السحب ، ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– يا مختارنا ! ارحمنا يا مختارنا !

هوت العصا . كانت الضربة طائشة أصابت كتفها.. نهضت الأم مترنحة ، منديلها بيدها . كانت تبكي وتعتب وتبتهل : اللّه !لكم تضرعت اليك ، ألاّ تكشف رأسي ، وها أنت ، لتمتحنني ، تكشفه؟ لتكن مشيئتك ، وليكن كما قال ايوب ،اسمك مباركا ، ولتكن عينك ، التي لا تنام، حارسة لنا وشاهدة »[1]

ما أعظم ايمانها ، فتحت الضربات – التي تعكس مدى الظلم النازل على الفقراء من الاقطاعي – لم تتوجه إلا لربّ بها يعينها ، ويلهمها الصبر ، كما ألهم أيوب من قبل .

وعلى العكس منها ابنتها قدسية في « القطاف » ، فرغم أنها تعرف حقيقة وضع اسرتها، ومدى حاجتها للعمل ، إلا ان جرأتها ، ميزت لغتها عن لغة والدتها .

فقد كشفت لغتها عن وعيها لحقيقة الامور ، وعن جرأتها ،وتحديها للواقع المؤلم الذي تعيشه، رغم علمها التام لما قد تتعرض له من أذى ، واتضح هذا من خلال حوارهامع اخيها ، ومن خلال أفعالها ،التي كشفت عن تواصلها بأسرتها، والفقراء ، وثورتها على الاقطاع .

فعندما اتهم المطعون بدور بسرقة الزيتون ، طلب من الأم تفتيشها ، لكنها رفضت ، وكذلك رفضت قدسية تفتيشها . وقام الوالد بأخذها ليوصلها إلى بيتها ، مما اثار حفيظة المطعون ، فذهب من فوره إلى الشوباصي ليشتكي الوالد ،ولم «تلبث الأم إلا أن انفجرت في البكاء ، مادفع قدسية إلى التوسل إليها أن تدخل الخيمة،وأن تكف عن البكاء ، لأن الدمع لا يفيد .. كانت شجاعتها تمدها دائما بما تمزق به الستارة السوداء ، التي تنصبها الوالدة في مثل هذه الظروف . لقد اهتمت ، لكنها وجدت ما فعله الوالد منطقيا ، ولم تكن اسفة عليه ، ولم تتعجل الامور ، وجاءت الي تسألني :

– ما رأيك ؟ يأتي الشوباصي الآن؟ ترى يضرب والدنا ، يعاقبه ، يطرده من عمله ؟ .. وهل تحسب أن بدور سرقت ؟

– وأين تخفي ما سرقته ؟ انه افتراء .. ارهاب .. تهمة مزورة ، الله يعلم الغاية منها .

– أنا اعلم ..هذا السفيه لا يتهمها الا لوجه الشيطان .

– إذن موقف الوالد صحيح .

---

(١) بقايا صور ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ومن قال انه خطأ ؟ لكن الامور ستتطور الآن .. ثم انظر الفلاحين ما أكثرهم على البورة ، والجمال لن تلبث أن تصل ، والعمل معطّل ، والزيتون قد يفسد ، وكل هذا سيتحمل نتيجته الوالد ... أليس كذلك ؟

– ستتحمل مسؤوليته كلنا .. ما أظن انهم يتركوننا نجني زيتونة واحدة بعد الآن .

– للقرد .. نعود الى المدينة ..

– وماذا نعمل في المدينة ؟

فجأة سألتني :

– لماذا لا نعمل ؟

– وماذ نعمل ؟

– أنت تكتب وتقرأ .. هيا اذن .. استلم القبان ، وخذ ورقة سجل عليها ما تتسلمه من زيتون ، وهذا أفضل من الوقوف مكتوفي الايدي .. » [1]

فمن خلال هذا الموقف ، تكشف لنا الفرق الشاسع بين الأم وابنتها . فالأم اكتفت بالبكاء ، فلغتها الخاصة بها – البكاء – تنم عن استسلامها لواقعها . أما قدسية فهي غير مستعدة أن تسكت على الظلم . وحتى لا يضرب والدها قامت بتكييل الزيتون وعندما عاد المطعون، وعلم بالذي فعلته ، شتمها بألفاظ كشفت عن موقفه الطبقي من الفقراء بشكل عام ، ومن المرأة بشكل خاص ، التي تعيش في مجتمع ينظر الى المرأة نظره دونية ،فكأنها حيوان لا فائدة منه سوى انجاب الاطفال والعناية بهم.

فمع أنها شتمت وأهينت ، إلا أن بيئتها الاجتماعية ،تحكمت في ردها ، فلم تستخدم اللغة المكشوفة على العكس من كاترين الحلوة في « المرفأ البعيد » ، ومن امرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » .

وهذا ما يتضح من خلال الحوار التالي، الذي دار بينها وبين المطعون ، بعد عودته مع الشوباصي ، الذي ذهب اليه ليشتكي الوالد .

فعندما عاد وعلم بما فعلته ، ثار ، وصاح بالفلاحين :

– من قبّن الزيتون وتسلمه؟

---

(١) القطاف ، ص ١٧٨ ، ص ١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ابن المصري .

– ومن طلب منك أن تفعل ذلك ؟

صاحت أختي من أمام الخيمة موجهة كلامها الى المطعون :–

– أنا .. حين رأيتك ، تترك العمل ، وتدع الزيتون والناس وتذهب ، وجدت من المناسب أن نعمل ما عملنا .

– هذا الذي عملتوه خطأ .. هذا شغلي ، كان يجب ان تعرفي أنه شغلي ، وأنا المسؤول عنه ، وأن الزيتون له اصحاب ، ونحن وكلاء اصحابه .

قالت أختي دونما اكتراث :

– يسلم الزيتون لاصحابه .. نحن لم نأكله .

قاطعها :لم يبق إلا أن تأكلوه يا خنزيرة ..

– أولاً أنا لست خنزيرة ، وثانياً أنت تشتمنا أمام الشوباصي لتستر فعلتك ، لكن الشوباصي جاء ورأى من الذي عطل الشغل ، ومن الذي سيره . » (١)

فقدسية بجرأتها، وصلابتها تشبه شكيبة في « الياطر » ، التي تعرضت للاهانة من زكريا ، الذي أرادها جسدا لا روحا ، وقتل كلبها . وقد عبرت عن غضبها بلغة حادة متوترة .

ففي البداية واجهته بالصمت ، ولم ترد عليه عندما ناداها، ورفضت اخذ السمكات التي تركها لها ، مما جعله يحس أنه محتقر . « رفضتها اذن ؟ رفضتها باحتقار وتركتها للكلاب ؟ ولكن الكلاب غير موجودة أيضاً ،تركتها لي ، أنا الكلب الوحيد الذي ليس له صاحب في هذا الخلاء ؟ (٢)

واحساسه هذا دفعه إلى حملها والقائها أرضاً. مما اضطرها للخروج عن صمتها ، فصرخت به « ارمني مرة اخرى في الدغل . أنا لا أضرب رجلا في ضيعتنا المرأة لاتضرب الرجل . تقتله ، ولكنها لا تضربه، وأنا لن اضربك ، ولن اقتلك . قلت لك انني لا أعطي نفسي بالسمك ، ولا بالقوة ، ولا أخافك ،وأحس بالشفقة عليك ، لأن حدسي يقول أن لك مشكلة ،

---

(١) القطاف ، ص ٢١٠ ، ص ٢١١

(٢) الياطر ، ص ٢١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنت قلق وتكاد تجن .. ارجع الى الخيمة ، او اذهب في الغابة ، لقد سامحتك » [١]

وبالمقابل فإن اللغة التي استخدمتها كاترين الحلوة ، وامرأة القبو مختلفة تماما عن لغة شكيبة وقدسية .

فكاترين الحلوة وامرأة القبو تنتميان لنفس المستوى الاجتماعي .. ولذا فان لغتهما ميزتهما عن قدسية ، وشكيبة ، وأم سعيد ، والأم في « بقايا صور » .

فقد ظهرت لغة كاترين المكشوفة في « المرفأ البعيد » ، عندما طلب منها سعيد أن تبقى عشيقته للأبد ، فصرخت في وجهه :

« اعرف هذا .. أراه في عينيك ، وفي يديك المرتجفتين ، في شفتك السفلى المتدلية من فرط شهوتك .. لكنني انا لا اريد . هل تعرف ما يعني هذا ؟ المرأةحين لا تريد فليس من شئ يرغمها على ذلك ، انت تفكر بقوتك كرجل .. تقول في نفسك : اغتصبها اضربها، أنت الآن مجنون ، الشهوة أفقدتك صوابك ، لكنك لن تنالني .. » [٢]

فقد كشفت لغتها عن انتمائها الطبقي ، وكذا امرأة القبو ، التي عندما أهينت في بيت الفتى ، من قبل والده ، وخطيب اخته ، انفجرت غاضبة ، وانفلتت تسب وتشتم بالفاظ كشفت عن مستواها الثقافي والاجتماعي ، فعلى الرغم من ثوريتها ، الا ان انتماءها الطبقي . – للقبو المظلم والبغاء – كشف عن تحررها .

« وماذا ؟ انظر الي . لست أنا التي نامت معك على الحصير ، كانت تلك فتاة مسكينة ،واظنك تعرفها .

– اخرجي .

– ولماذا ؟ كان يجب أن تدعوني الى الجلوس :– قلت لكم لست شحادة ،وأنا اعرفك .. وقد نسيت عندي غرضا احترت في أمره ..ولو لم تكن الآنسة موجودة لقلت اسمه » [٣]

ونستطيع القول أنه من المستحيل أن تستخدم الأم ، أو الاخت مثلا ، هذه الالفاظ المكشوفة ، لأن وضعهما الاجتماعي ، يترفع بهم عن مثل هذه الالفاظ السوقية.

---

(١) الياطر ، ص ٢٥٣

(٢) المرفأ البعيد ، ص ١٧١ انظر ايضا ص ١٧٢ .

(٣) الشمس في يوم غائم ، ص ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استخدمت أم سعيد في « الدقل » لغة خاصة بها ، عبرت من خلالها عن حزنها على زوجها الذي نزل البحر ، ولم يطلع ثانية. فلغتها هذه ميزتها عن امرأة القبو ، ، وعن كاترين الحلوة.وهي بذلك تشبه الأم في « بقايا صور » وقد تمثلت لغتها بالبكاء ، وتبين ذلك من خلال وصف ابنها لمافعلت عندما لم يجد والده في السفينة الغارقة « وقد شرعت امي ، منذ رأتني تلطم خديها ، تضرب صدرها ، وانطلق اخوتي في بكاء جماعي ، شارك فيه الحاضرون ، وتجمع الناس على الباب والنوافذ ، حتى خيل الى انني اختنق . انجردت امي والقت بنفسها على صدري ، وهي تسأل بصوت باك زاعق :

– أين أبوك يا سعيد .

– أبي سافر في البحر .

– لا ،لا . . أبوك غرق .. كنت تبحث عنه .. أبوك غرق .. أبوك مات . » [1]

وأخيرا ،يمكننا القول ، إن لكل امرأة لغتها الخاصة ، التي تميزها عن غيرها . وإن الانتماء الطبقي ينعكس على طبيعة لغتها .

* * *

وقد أفاد حنا مينه في لغة رواياته ، بشكل عام ، من التراث الشعبي فيما يتصل باللغة والتقاليد ، والتشكيل الفني ، والاغاني ، والأمثال ، والطقوس والممارسات . كما افاد من التراث الديني ، ومن التراث الادبي ، في الكشف عن طبيعة المرأة ونفسيتها .

فقد اورد بعض الاغاني الشعبية التي كشفت عن نفسية الام في « بقايا صور » فغناؤها ينصب في دائرة الشوق ، والحنين الانفعالي لأيام جميلة ، تولّت بسبب من الغربة عن مسقط الرأس ، وتعاقب الزمن عليها باتجاه الهرم ، فاشتياقها لأيام الصبا دفعها للغناء بموال حزين ، فالمرأة، بوجه خاص ، تميل الى استخدام المواويل الحزينة ، التي تذكرها بأيام مضت ، وباعزاء ذهبوا ولم يعودوا ثانية .

فشعور الأم بالغربة ، وعدم الاطمئنان لغياب زوجها المتكرر ، جعلها «تجلس في الاصائل على الحصير قبالة الباب ،لسانها يتحدث ،وعينها على الطريق ، تطول جلساتها حتى يهبط الليل، وينقطع الرجاء ، وفي العتمة قبل ان نشعل السراج ،ونغلق الباب ، كانت تغني موالها المعتاد :

---

(١) بقايا صور ، ص ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا رايحين ع حلب حبي معاكم راح

يا محملين العنب وفوق العنب تفاح

كل من لو لفه لفى وأنّا وليفي راح

يا ربي نسمه هوا ترد الوليف ليا . (١)

وقد كشف غناؤها الشعبي عن نفسيتها الملتاعة ، المشتاقة لأيام الصبا ، على نحو ما نرى في القطاف فعندما ذهبت مع أطفالها إلى الحقل لقطف الزيتون ،كان الجو لطيفا ، مما أثار قريحة الأخت الصغرى ، فغنت موالا ، وتابعتها الأخت الكبرى ، بميجانا ، « لكن الأم سرعان ما بدّلت اللحن ، راجعة إلى أيام صباها ، بأغنية عذبة ، تزقرق مع ما في صوتها من شجن وغنة :

يا طالعين القصر لفوق يا نازلين سلمو لي

على غزال وعيونو سود والعنق أبيض بلوري

رددنا نحن هذه اللازمة ، فتابعت الأم :

يابيض صبحكم بالخير يا سمر يسعد مساكم

لضل صبح ومسى طول ما حبيبي معاكم » (٢)

وتوسلت لغته التراثية أيضا بالتراث الديني المسيحي ، الذي كشف عن ايمان الام العميق «بقايا صور » – فعندما مرض زوجها وأخذوه الى المستشفى بكت لانها « خافت عليه من الموت ، وعلى نفسي – كما قالت لأطفالها – من الترمل وعليكم من اليتم : خفت عليك أنت أكثر من إخوتك لقد حبلت بك بالرجاء ، كما يقال في الكنيسة ، وبالآلام وضعتك .يوم مولدك ابتسمت أحشائي ، ولساني انطلق بالشكر للرب والدعاء لك . استنارت « مغارتنا» ، وأمام الايقونة اشعلت شمعه ، ووقفت خاشعة أقدم صلاة الشكر .. » (٣)

ووظف حنا مينه أيضا التراث الأدبي القديم في « حمامة زرقاء في السحب » لاضاءة بعض

---

(١) بقايا صور ، ص ١١٩ .

(٢) القطاف ، ص ١٦٥

(٣) بقايا صور ، ص ٧٧ .

انظر ايضا المستنقع ص ٣٣ ، ص ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب من نفسية رنا المتعبة ، المحطمة ،اليائسة ، البائسة . ففي لحظات اليأس التي كانت تنتابها ، لجأت إلى ترديد الشعر الذي يمس وجدانها الحزين .

فقد رددت قصيدة عنترة العبسي الغزلية في عبلة ، لأنها وجدت فيها ما يعبر عن نفسيتها الحزينة :

يا عبل كم يشجي فؤداي بالنوى ويروعني صوت الغراب الأسود

كيف السلو وما سمعت حمائماً ينذبن إلا كنت أول منشد

وسألت طير الدوح كم مثلي سبى بأنينه وحنينه المتردد

ورددت أيضاً أبياتاً من قصيدة رثاء للشاعر جرير في زوجته :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزررت قبرك والحبيب يزار

ولهت قلبي اذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار

كانت مكرمة العشير ولم يكن يخشى غوائل ام حزرة جار [1]

* * *

ونصل في خاتمة المطاف إلى مسألة هامة ، تحتمل الجدل والنقاش ، وهي مسألة اللغة العامية ، واستخدامها في العمل الفني ، فقد كان بعض الروائيين ، يلجأون إليها في الحوار لتضفي عليه صدقا ، وحيوية ، وواقعية .

ونحن لن نغوص في هذه المسألة ، لأنها تحتاج إلى حوار ونقاش طويلين . وهذا ليس بمجال بحثنا . فما يهمنا بالدرجة الاولى ، مدى استخدام حنا مينه للعامية في السرد والحوار في رواياته ، فما يتعلق بالمرأة بشكل خاص .

فالدارس لرواياته ، يلاحظ أنه يدير السرد، وكذلك الحوار بلغة فصيحة مبسطة ، قد تتخللها كلمات عامية. وفي بعض الروايات يتجاور الحواران ، العامي والفصيح ، وذلك حسب الشخصية التي تحاور . وحسب البيئة التي تعيش فيها المرأة . إذ يستخدم المفردات المناسبة للتعبير عن مشاعرها الانسانية ، من خلال فهمه لنفسيتها ، ولبيئتها حتى تأتي لغتها مناسبة لطبيعتها .

---

(١) حمامة زرقاء في السحب ص ٢٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسنورد بعض الامثلة لتوضيح ما قلناه .

فمريم السودا – « المصابيح الزرق » – تعيش في حي شعبي فقير ، معظم سكانه لا يعرفون القراءة والكتابة ، ولغتهم لابد ان تكون لغة عامية .ومن هذا المنطلق فان مريم تستخدم بعض الالفاظ العامية في حوارها – وهذا يتلائم مع طبيعتها ، وطبيعة الناس ، الذين تحيا بينهم – على نحو ما نرى في حوارها مع فارس الذي كان يقف في الطابور، امامها ، لاخذ حصته من الكاز .

« كان قد مضى أربع ساعات في تدافع وشتائم ، وصياح ، ومريم تتقدم حتى لتكاد تصبح امام الباب ، ثم فجأة تجد نفسها في المؤخرة . لهذا قال لها فارس وهما عائدان ، بعدما أخذا حصتها :

– لولاي ..

فقاطعته : – اسكت يا عكروت انت سترى ، سأقول لوالدتك كل شئ .

– وماذا فعلت ؟

– كنت طوال الوقت لا تلتفت إليّ ، كنت مشغولا بالصبايا يا منحوس » . (١)

وبالمقابل فان الأرملة في الرواية نفسها ، تستخدم الفاظا فصيحة ، تلائم انتماءها الطبقي لفئه اجتماعية ، لها تقاليدها وثقافتها الخاصة .

فقد عبرت عن كرهها للشعب الواقف ضد الاحتلال ، بمفردات فصيحة ، بعيدة عن اللهجة الدارجة في الاحياء الشعبية .

« سألت فارس ، عند ما جاءها طالباً مساعدتها في ايجاد عمل مناسب :

– مساكين .. كنت أحسبهم من طينة مختلفة ، وقد وجدتهم بشراً مثلنا .

– ليسوا مثلنا المجومون ليسوا مثلنا .. وأنت لست مثلهم .. أنا اعرفك .. أنت شجاع .. ولكنك لست مثلهم ، وحين سمعت بالنبأ قلت : مستحيل أن يكون فارس/هؤلاء .. إنه لا يقتل .

– ولكنني قتلت .. اقصد ضربت .

---

(١) المصابيح الزرق ، ص ٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ضربت فقط .. وكنت مخطئا .. قل إنك كنت مخطئا .. لا تسمع لما يقوله الناس عن الفرنسيين .. ليسوا السبب .. وقد شرحت قضيتك لمدير الدفاع السلبي ، وهو فرنسي ، واقنعته بتشغيلك .. قلت إنك نشيط وذكي .

ونظرت في عينيه وسألت :–

– أم انا مخطئة ؟ » [1]

فقد كشفت ألفاظها عن خيانتها ، ونفورها منهم ، ووقوفها إلى جانب الانتداب .

---

(١) نفسه ، ص ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- صورة المرأة بين الشخصية الانسانية والنموذج :

إن الرواية تتكون من بناء هرمي ، تندمج فيه العناصر المكونة لها ، وتعتبر الشخصية أحد العناصر الهامة في هذا البناء . وتكمن أهميتهافي كونها تلعب دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الكاتب ، وهي تمهد لنا الطريق للتوصل إلى الفكرةالمطروحة في الرواية .

وتختلف الشخصية الروائية من رواية لأخرى ، ومن كاتب لآخر ، بناء على موقف الكاتب ، أو اتجاهه الفكري ، كما أن للمجتمع دورا في التباين ، فالظروف الاجتماعية والثقافية تلعب دورا في توجيه الشخصيات وحتى تكون للشخصية دورها الفاعل ، وتؤثر على القارئ ، لا بد من المزج بين عالمي الشخصية الداخلي والخارجي ، وهذا يختلف من كاتب لآخر ، حسب طريقة رسمه للشخصية .

ويمكننا القول إن هناك نوعين من الشخصيات ، الشخصيات النمطية ، والشخصيات النامية . والنوع الأول تظل فيه الشخصيات محافظة على ثباتها ولا تتفاعل مع ما حولها ، فلا تنمو ولا تتطور ، ولا تتخذ وجهة جديدة ، فتكون عندها شخصية مسطحة ، يتحكم فيها الكاتب ويحركها كيفما شاء ، وقد يرجع سبب كون الشخصية ثابته مسطحة إلى عزلها عن إطارها المكاني والزماني . بحيث تبدو باهتة متقطعة الصلة ، فهي لا تقوم بصنع الاحداث ، ولا تتأثر بها ، ويلعب القدر والمصادفات دورا في تسطيح الشخصيات . وكذلك تدخل المؤلف في بعض الأحيان ، وسيطرته على الحوار وحركة الشخصيات . وهذا يؤدي إلى إحساس القارئ بعدم واقعيتها ، وبالتالي إلغاء الإرادة الإنسانية .(١)

وهذا ما نجده متجسدا في بعض الشخصيات النسائية في روايات حنا مينه ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، أم صقر في « المصابيح الزرق » ، فقد قدمها دفعة واحدة ، بحيث بدت شخصيتها مكتملة منذ البداية ، في مواقفها وردود أفعالها .

فشخصيتها ثابتة من أول الرواية إلى آخرها . إذ لم يؤثر فيها شئ مما يدور حولها من أحداث ، كونها شخصية مسطحة . فهي لا توثر في التطور الداخلي والنفسي للشخصيات . ويمكننا القول إن حنا فرض عليها التحول من الخارج فقط ، بحيث تظهر غير متطورة في شكلها

---

(١) انظر ، شكري عزيز الماضي – الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في سورية ١٩٣٧ – ١٩٥٧ . المعرفة السورية . العدد السادس والاربعون بعد المائتين . ١٩٨٢ ص ٤١

وانظر ايضا ، صلاح فضل – منهج الواقعية في الابداع الادبي . دار الافاق – بيروت . ط٣ ١٩٨٦ . ص ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العام ، « لأنه يحكم عليها حكما نهائيا مطلقا يستمر من أول الرواية إلى آخرها ، وهو لا يتركها تمارس عملها ، وتنمو وتتطور مع أحداث الرواية ، ويترك للقارئ الحكم على صفاتها من خلال أقوالها وأفعالها ، لكنه يطلق عليها مجموعة من الأحكام التقريرية تظل محتفظة بها حتى يسلمها المؤلف إلى مصيرها » .(١)

والكلام نفسه يقال عن أم فارس في الرواية نفسها ، وعن أم فياض في « الثلج يأتي من النافذة » ، وأم الفتى في « الشمس في يوم غائم » .

وفي المقابل نجد الشخصيات النامية المتطورة ، التي تتكشف تدريجيا ،وتتطور بتطور أحداث الرواية ، ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع الحوادث ، وقد يكون هذا التفاعل ظاهرا أو خفيا . وقد ينتهي بالغلبة أو الاخفاق ، ويقدمها الكاتب بشكل مقنع ، فلا يعطيها من الصفات إلا ما يبرر موقفها ، وتكون هي – في بعض الاحيان الحامل لأفكاره ومبادئه.(٢)

ويتجسد هذا في شخصية بربارة في « فوق الجبل تحت الثلج » ، وبيروشكا في « الربيع والخريف » ، ورنا في « حمامة زرقاء في السحب »

وهذا النوع من الشخصيات قد يؤدي إلى خلق الشخصية الإنسانية المحكومة بعلاقات متشابكة ضمن إطار البيئة ، بمفهومها الواسع ، ولذا لا بد أن يمتزج فيها الخير والشر ، فهي تحقد وتصفح ، وتثور ثم تهدأ ثورتها، وتحب وتكره ، وتتوالى عليها التقلبات عبر الزمان والمكان . فهي لا يمكن أن تكون معزولة عن المجتمع ، بحيث لا تفكر إلا في ذاتها ، كما لا يمكن أن تكون ذات صفات بعيدة عن واقع البشر .

وقد تتطور هذه الشخصية لتكون النموذج ، الذي هو عبارة عن شخصية إنسانية تبلغ درجة التفرد في حضورها الفني ، فهي مستمدة من الواقع ، لكنها تختلف عنه في كونه يمثل بطلا إنسانيا لفئة من الناس ، أو لطبقة معينه ، دون أن يكون بطلا متفردا لا يستطيع إفراد طبقته الوصول إلى مرتبته.

---

(١) عبد المحسن طه بدر – تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ – ١٩٣٨) دار المعارف – القاهرة ١٩٦٣ . ص ١٦١ .

(٢) شكري عزيز الماضي – الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في سورية ١٩٣٧ – ١٩٥٧ ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعددت النماذج النسائية في روايات حنا مينة ، رغم أنها لم تشمل سوى القليل منهن إذ يمكننا القول إن الكثير من النساء كن شخصيات عادية.

وقد تنوعت نماذجه ما بين نموذج الكفاح الأمومي ، ونموذج المومس الفاضلة، نموذج المرأة الثورية .

١- نموذج الكفاح الامومي :-

يمكننا اعتبار الأم في ثلاثية « بقايا صور » ، « المستنقع »، و « والقطاف . نموذجا للمرأة المستغلة المقهورة ،فهي تلد والإقطاعي يأخذ ، هي تلد والجوع يقتل أبناءها . ومع ذلك فقد اجترحت البطولة الإنسانية من الضعف ، فكانت نموذجا لفئة من الناس ، دون أن تكون بطلة متفردة ، يقصر معظم أفراد طبقتها عن أن يكونوا مثلها .

وهي أيضا نموذج الكفاح الامومي ، وقد يظنها القارئ نموذجا سلبيا للأم ، لكن إذا تمعن في شخصيتها يتوصل الى أنها تمثل النموذج المناضل من أجل التغيير. ومن المنطلق هذا ، فهي تحمل همين دائمين تسعى لتنفيذهما – في محاولة لتغيير واقعها للأفضل – ، هما سكن المدينة ، لأن فيها ،حسب رأيها ، ستتغير حالهم للأفضل .

وإرسال أبنائها إلى المدارس ليتعلموا ، ويستطيعوا بالتالي المساهمة في انتشال أسرتهم من الفقر فهمومها الداخلية أصبحت محرضا داخليا يملي على سلوكها إرادة عنيدة .

فكفاحها الدائم ضد السقوط ، أو ضد التردي في هذا السقوط بالنسبة للعائلة ، وعملها الدائب في سبيل استعادة بناتها من الخدمة . – وتعاطفها مع الفقراء ،وتلاحمها الإنساني معهم [1] كل هذا أهلها لتكون نموذجا للكفاح الامومي .

وعلى هذا كانت عصب الأسرة ، وفي سبيلها فقدت حيويتها ، ومرضت ، وهزلت حتى استحالت جلدا وعظاما .

ولو أردنا الحكم على تصرفاتها لوجدناها مبررة أو قابلة للتبرير فهي تتصرف بصورة متسقة مع طبيعة الشخصية وظروفها ، وصورتها نامية حية . وذلك بسبب وعي الأديب بالظروف الاجتماعية المختلفة التي تحرك المرأة في الواقع .

لذا وظف البعد الاجتماعي . فوضعها الاجتماعي والاقتصادي دفعها إلى قبول العمل

---

(١) حنا مينه – هواجس في التجربة الروائية . ص ٢٨ ،ص٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خادمة ، ومن ثم قطف الزيتون بعد دعودتها إلى اللاذقية .

وقد وظف البعد التاريخي ، فمن ناحية تاريخية تعد صورتها تسجيلا صادقا لصورة المرأة السورية بسماتها الشعبية في تلك الفترة الزمنية ، وتعد ايضا نموذجا وطنيا . فرغم ثقافتها المحدودة ، الا انها تدرك بحسها الفطري ، أن الفرنسيين سبب ما تعانيه وأبناء شعبها .

ويمكننا أيضا اعتبارها نموذجا للمرأة المؤمنة بتعاليم السيد المسيح ، التي لا تعرف اليأس والاستسلام ، المؤمنة بالمستقبل ، وبقضيتها ، مثلما تؤمن أن التضحية تقع على عاتقها ما دام الأب غائبا ،لا يسأل عن شئ . إضافة الى إيمانها أن الصلب وتحمل الآلام ، والشعور مع الغير سبيل الفرج .

ونهاية يمكننا القول ، إنها تمثل نموذج النضال من أجل التغيير ، وعبور طريق الآلام الشائك ، وقد اختار الطفل ليكون أداة للنموذج .

وتأتي أم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار » ، لتكون امتدادا لشخصية الأم في ثلاثية « بقايا صور» ، و« المستنقع » ، و « القطاف » ، لكن مع تطور واضح في شخصية أم سعيد .

فالبكاء لم يعد له وجود يذكر باستثناء مرات قليلة . فكلتاهما تمثل نموذجا للمرأة المكافحة المناضلة لأجل أبنائها ، ونموذجا للسعي نحو التغيير للأفضل . مع أننا لا نستطيع القول إنها كانت مستقلة تماما عن زوجها ، فهي قبل اختفائه كانت تحمل صفات الاستكانة ، والاستسلام التي تنظر إلى الرجل في هذا المجتمع ، على أنه سيدها ، وأنها وجدت لخدمته وللسهر على راحته وتلبيةحاجاته ورغباته. لكن اختفاءه لعب دورا بارزا في تطوير شخصيتها. كما لعبت الظروف الاقتصادية التي مرت بها أسرتها الدور نفسه

فهي لم تكن تعمل ، لكن غياب الزوج ، وسجن الابن ، اضطرها للعمل خادمة في البيوت اثناء وجودها في الاسكندرية . وبعد عودتهاإلى اللاذقية ، عملت في الريجي ، ولم تعد تخجل من عملها، فوعيها ونظرتها للأمور تغيرا .

إذ خفت شكواها وأصبحت ترى أن عملها سيضمن العيش الكريم لأسرتها

٢- نموذج المومس الفاضلة :-

احتلت المومس الفاضلة مكان الصدارة في كثير من أعمال الواقعيين الاشتراكيين « فلقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجسدت فيها الكثير من منطلقات الواقعية الاشتراكية ، مثل كون الانسان خيّراً في الأصل ، لكن الظروف الاجتماعية الخانقة، هي التي تشوهه ، فالمظهر الخارجي للمسحوقين يثير النفور ، لكن اعماقهم بيضاء ونقية » (١)

فرغم تجردها من كل الموانع الأخلاقية ، وموانع التحريم ، الا ان الحرية التي تملكها تجعلها قادرة على العطاء ، وعلى الامتناع . فهي تقدم جسدها جثة هامدة لمن يدفع مالا ، وفي الوقت نفسه ، تكن حية نابضة ، عندما تقدم نفسها لمن تحبه ، او تراه اهلا لذلك (٢)

وهذا ما تجسده أم حسن في « الشراع والعاصفة ش ، وزنوبة في « بقايا صور » ، وامرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » .

وبما أنها تملك قلبا نقيا ، فكثيراً ما نلاحظ أنها قد تحولت إلى امرأة تملك كل مقوما ت الحس الانساني . وفي الوقت نفسه تتجسد فيها كل ملامح الشخصية الانسانية الحية المتكاملة ، وذلك بما يفيض منها من مشاعر العطف والحنان والثورة على الظلم .

فمريم السودا ، المومس التائبة ، تملك روحا ثورية ، وقد تجسدت ثوريتها ، بمشاركتها في المظاهرات ، من منطلق الحرية التي تتمتع بها . فهي تجسد المومس الفاضلة ، التي تحس بما يعانيه ابناءحيها ، وتحاول التخفيف عنهم ، ومشاركتهم أحزانهم وأفراحهم .

وقد جسدت أم حسن في « الشراع والعاصفة » ، صورة المومس الفاضلة ، التي تمنح كل ما تملك لمن تحب دون أدنى حساب . فقد منحت جسدها وروحها للطروسي . وكافأها بالزواج منها ، عندما اكتشفت ما يتمتع به من صفات انسانية ، رغم ما تعانيه من ظلم المجتمع . ومنحته أيضا حليها ، لتساعده في شراء المركب الذي يحلم به .

ويتطور نموذج المومس الفاضلة ، ليجسد النموذج الثوري ، وتمثل هذا في شخصية امرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » ، وفي شخصية زنوبة في « بقايا صور » .

فامرأة القبو بانتمائها الى صفوف الثائرين على الاقطاع وممثليه ، تجسد النموذج الثوري .

---

(١) غالب هلسا – قراءات في اعمال – ، ص ١٧٢

(٢) نفسه ، ص ١٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي تحتقر الطبقة المستغلة ، ولذا ترفض ان تنيمهم على سريرها ، رغم علمها أنهم سيدفعون . وتجبرهم على النوم على حصير حقير في غرفة بائسة مع تلك الفتاة المسكنية .

أما هي فلا تمنح جسدها إلا لمن يستحقه ، وقد رأت في الفتى ذلك الانسان الذي يستحق شرف النوم على سريرها لانه يملك قلبا نقيا . رغم علمها انه قادم من هناك – من القلاع –

فهو إذاً في صف امرأة القبو التي تنشد الانتقام من الشر ، ومن الفقر الذي اضطرها الى بيع جسدها ، لكن مأساتها لم تبلغ ان تطرحها ارضا ، فقاومت على طريقتها بروح ثأرية كاملة ، وانضمت الى الخياط ، الثوري الذي يدق الارض ، ابنة الكلب النائمة . (١)

وتعتبر زنوبة امتداداً لشخصية امرأة القبو ، فنراها على امتداد العمل الابداعي توازي الام التي تعتبر نموذجا للكفاح الامومي الانساني وبذرة مولدة للخير ، وفيضا من الحب والحنان ،« وغضبا على السوء يتفجر تمردا واستشهادا بموتها ، وهي تقتحم النار ، وتتصدى بصدرها للرصاص . » (٢)

ولم تكن زنوبة عشيقة الوالد فحسب ، بل كان لها الدور الايجابي الفعال ، فعلى يديها كانت نهاية المستغلين ، فقد أشعلت الثورة عبر اشعالها فتيل الحريق الذي ادى الى حرق محصول السيد الاقطاعي .

فدورها ايجابي ، وشخصيتها متطورة . فقد اعطاها حنا مينه دورا فاق دور الشخصيات النسائية الاخرى ، لأن « فكرة اصلاح البغي وخلاصها ، بالنسبة للكتاب الثوريين ، بدت بالنسبة اليهم من أسخف الأفكار العميقة في اطار المجتمع القائم على الرأسمالية والاستغلال ، والبغي بالنسبة اليهم ، مخلوق من نتاج هذا المجتمع ، ولا سبيل لاصلاحها بدون اصلاح المجتمع ذاته » (٣)

ومن هنا فان حنا مينه أعطاها حقها ، حين جعلها تخوض غمار الحياة ، تسبر أغوار المجتمع في طور انتصار الصراع ، ولم يجعلها يوماً تعبر عن أفكارها . انما كانت شخصيتها مناسبة ، تدبر وتقبل ، بحيث استطعنا ان نلمح زنوبة الانسانة ، التي كانت بحق رمزا للأمومة والانسانية

---

(١) حنا مينه – هواجس في التجربة الروائية ، ص ١٠٧

(٢) نجاح العطار – جدلية الخوف والجرأة . مقدمة رواية بقايا صور . دار الآداب – ، ١٩٧٥ ص ٤٩

(٣) خالد القطيشي – الساقطة المتمردة . شخصية البغي في الأدب التقدمي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان ط١ ١٩٨٠ ص ٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حد سواء . فقد كونتها عبر ممارساتها النضالية وليس خارجها ، وبهذا تكون نموذجا في حركة صراع واحدة هي الاقدام والايمان ، مما جعلها تقدم كل شئ من اجل عقيدتها الصلبة ، التي لا تتواني عن تحقيق العدالة الاجتماعية في الواقع الذي تعيش فيه . حاملة بعدها الانساني من خلال وقوفها إلى جانب الأم وأطفالها ، ومن خلال محاربتها كل قوى الاستغلال والاحتلال .

فحنا مينه لا يرى حرية المرأة كامنة في ذلك الحب القائم في ظل علاقات اقطاعية بورجوازية ، وانما تكمن حريتها في النضال ، لذا لا يوصل المرأة الارملة ، ومن بعدها زنوبة الى أحضان الرجل لتحقيق حريتها، وإنما يوصلها او يفتديها بالنضال وكأنه في موقفه هذا يهدف إلى بعدين ، البعد الاول يهدف من خلاله إلى اظهار الطهارة الداخلية لدى هذه المرأة أو تلك ،التي لا يدركها معظم الناس في مجتمع القهر والاستبدادية الذكورية .

والبعد الثاني ، يتمثل في تشويه الواقع ، ليؤكد الجوانب السلبية فيه ، وليكشف عن متناقضاته الطافحة على سطحه من جهة ، والكامنة في أغواره ، وأبعاده من جهة اخرى.

فزنوبة تدرجت في طريق النضال . ففي البداية كانت هامشية ، وسلبية في ظل الواقع المتناقض ، لكن شخصيتها تطورت ، لتصل فيما بعدإلى أن تكون المفجر الحقيقي للثورة ، عندما أشعلت الحريق . وهو ما نجح في رصده . فهو لم يقدم شخصيتها تامة ، مكتملة ، وانما تطورت ضمن أحداث الرواية ، بين يدي القارئ ، وهو ما نراه ايجابيا في الفن .

وكشف لنا عن انسانيتها ، رغم انها منبوذة من المجتمع ، فقد سمحت للأسرة باستغلال بستانها ، اضافة الى معاملتها اطفالها كأنهم اولادها . وانسانيتها المتفجرة جعلت الطفل الذي كرهها منذ رآها ملقاه في الوحل ، وهي ثملة، وثيابها ممزقة ، يحبها ، عندما اكتشف انها انسانة أجبرتها الظروف على أن تكون مومسا . وقد « جعلهاحنا مينه البطلة المناضلة ،والقادرة الوحيدة على شق شرنقة العبودية ،وتقديم حياتها ثمناً بخساً لما يريده الآخرون من المضطهدين والمستغلين في القرية[١]

٣- نموذج المرأة الثورية :

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا منح حنا مينه الثورية للمومس في حين حرم منها بقية

---

(١) ملاحظة الخاني – نموذجان للمرأة في روايتين سوريتين . مجلةالموقف الادبي العدد السادس والتسعون . نيسان ١٩٧٩ ص ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصيات النسائية الاخرى ؟ فكأنه يود القول أن العادت والتقاليدهي السبب في حجمها عن النضال – لكننا كما ذكرت سابقا – نعلم أن المرأة السورية شاركت الرجل في كثير من الأحيان في نضاله ضد الانتداب الفرنسي ، ومن حقها عليه أن يبرز دورها لا أن يمنحه للمتمردة على العادات والتقاليد. مع أننا لا ننكر أن معظم رواياته ، تستمد احداثها من ، واقع الحياة السورية في فترة الثلاثينات ، والأربعينات والخمسينات من هذا القرن . وأن المرأة السورية في تلك الفترة ، لم تكن قد اخذت مكانها في المجتمع ،إذ لم تصل إلى مرحلة الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي ، فقد كانت حبيسه البيت ، وخروجها للعمل كان على نطاق ضيق تبعا لظروفها الخاصة .

لكن هذا لا يعني تقاعسها عن النضال،وهو من منطلق نظرته المتفائلة للمومس جعلها تجسد النموذج الثوري . ولم يشاركها في ثوريتها من الشخصيات النسائية ، سوى قدسية في « القطاف » . إذ يمكن اعتبارها النموذج الثوري المتكامل ، فقد تدرجت في طريق النضال ، وتطورت شخصيتها بتطور الأحداث .

ففي « بقايا صور » كانت على الهامش ، وكذا في « المستنقع » ، لكنها في القطاف برزت لتكون النموذج الثوري النضالي ، فمثلت بذلك المرأة النموذج التي يريدها حنا مينه . فهي تمثل روح الكفاح والتحدي ، واتضح ذلك من خلال تحديها للمطعون ، ومحاولتها بث روح الثورة والوعي في نفس أمها وأخيها .وهي تمثل أيضا الانفة والاعتداد الشديد بالنفس ، رغم الفقر الذي تعانيه وأسرتها . « أختي هذه أمية ، حال فقرنا الشديد بينها وبين المدرسة ، لكن الحياة واستعدادها ، علماها الكثير ، حسها الوطني والاجتماعي فطرة ، لكنها من خلال مكافحة الفقر ، تعلمت ألا تخاف الحياة ، وأن تقتحم مشاكلها ، فنما هذا الحس حتى صاروعياً ، يعبر عن نفسه بالمواقف الانسانية التي تتخذها ، وبالاعمال اليومية التي تنهض لها »[1]

---

(١) حنا مينه – هواجس في التجربة الروائية . ص ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- صورة المرأة بين الواقع والرمز

إن الرمز ليس بديلا عن الواقع ، بل هو اغناء له ، والاسطورة لاتقوم مقام الحادثة لكنها تكثفها ، وتعطيها دلالتها التي اكتسبتها تاريخيا ، ولهذا فان امكان استخدام الرمز والاسطورة في الرواية ، وفي القصة ، وحتى في الشعر ، شئ جميل ، يلون ، يكثف يضئ ، ويقدم تلخيصا فكريا ، اكتسب حق وجوده مع الأيام ، بقالب فني ادبي [١] .

وعندما نقول : المرأة الرمز ، لا يعني انتفاء الواقعية عن المرأة ، إذ لا يمكن تجريد المرأة من أبعادها الرمزية ، فقد برزت الكثير من شخصيات المرأة الواقعية التي تحمل دلالات وايحاءات رمزية عميقة ، لكنها ظلت تحمل سمة الواقعية ، وأما المرأة الرمز ، فهي الصورة العميقة التي يبلورها الكاتب في رواياته ،لتحمل عمق التجربة .

وقد تعددت الصور الرمزية للمرأة في رويات حنا مينة ، فتراوحت بين المرأة التي ترمز للثورة والتغيير ، وبين المرأة التي ترمز للجهل والسلبية والتخاذل .

والشئ اللافت للنظر أن حنامينه أراد تجسيد فكرة المومس الفاضلة ، لذا فإنه جعلها ترمز للثورة والتغيير. وفي الوقت نفسه ربما تكون ايضا رمزا لمريم المجدلية التي ورد ذكرها في الانجيل ، على انها مومس خاطئة ، اخرج يسوع من رأسها سبعة شياطين ،لتصبح امرأة صالحة مؤمنه ، ومن اتباعه المخلصين رغم ان جسدها مدنس، إلاأن روحها طاهرة لذلك رضي يسوع بتوبتها [٢]

فمريم السودا في « المصابيح الزرق » رمز للتفاني والعطاء والثورة ، فرغم ماضيها السيئ ، الا انها اثبتت انسانيتها ، وثوريتها ، التي تمثلت بحملها البيرق في المظاهرات وسيرها بصورة مستقيمة ، دون عرج .

وامرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » تجسد البعدين ، الرمزي ، والواقعي الانساني . اذ يمكن اعتبارها رمزا للثورة والتغيير ، ورمزا للمجابهة الفعالة ضد التخلف والقهر . لذا جعل عينيها سوداوين ، لنظرتها الثاقبة للأمور .وهي ايضا ملهمة لحركة التغيير ، فقد حاولت غرس بذرة الثورة في الطبقة المتصادمة مع طبقتها ، من خلال استمالتها للفتى ، وتعليمه رقصة الخنجر ، ليدق ابنة الكلب النائمة ، لا يقاظها .

---

(١) حنا مينة – حوارات واحاديث في الحياة والكتابة الروائية . ص ١٥٦

(٢) العهد الجديد ، انجيل لوقا ٢/٨ ، ١٠/٢٤ جمعية الكتاب المقدس – بيروت ١٩٧٧ . ص ١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن افعالها على المستوى الانساني الواقعي صادقة ، « وقد بدا الرمز من خلال الواقع في الحوار الذي دار بين المرأة ، وبين الفتى حول الفارق الطبقي بينهما ، عزت سبب عدم نومه على الحصير لأنّه يعتقد أنه سيد ، وأن ارث عائلته ورواسبه يتحكمان في تصرفه » (١)

لكنه أثبت لها انه في صفها ، وفي صف الثائرين – متطرفي الثورة الفرنسية – ، « قررت ان اكون في صف الخياط ، والمرأة ، وضابط الايقاع ، وزملائي الذين يتظاهرون ضد الانتداب ، ويطالبون بالحكم الوطني ، الفيت نفسي ، أقرب إلى الذين اندفعوا باتجاه الباستيل لهدمه من الذين كانوا بداخله ، وحاولوا الدفاع عنه ، ملونه ، زاهيه ،حارة ، كانت حياة اليعاقبة ، حتى أختي معجبة باليعاقبة » (٢)

وزنوبة في « بقايا صور » تجسد أيضاً البعدين الرمزي والواقعي ، فهي رمز للثورة والتغيير ، اضافة إلى أنها رمز لمريم المجدلية . فمريم تطهرت عن طريق آلامها الخاصة ، وحسها المفرط ، وشعورها بآلام غيرها ، وعن طريق ثورتها على السيد الاقطاعي ، وتحديها له ، وتحريض الفلاحين على الثورة .

فالمومس قبل كل شئ انسان له أحاسيسه ومشاعره ، ولا يمكن بأي حال من الاحوال أن تفقدها كليا ،فقد تكون مدفونة في داخلها ، ولا تستطيع التعبير عنها . بحكم ظروفها ، ووضعها الطبقي المنتمية اليه ، فهي منبوذة من قبل المجتمع ، لكنها إذا تعرضت لموقف معين ، فان مشاعرها الانسانية تتدفق ،مع انها قد تكون رمزا للتحرر والانفلات من قيود المجتمع الاقطاعي ، لموقفها الواضح من القيم الاخلاقية ، وتجاوزها لها . (٣)

وهذا التحرر يعكس ، اضافة الى البعد الرمزي ، البعد الواقعي لشخصيتها ، من خلال شخصية المومس، التي تمارس ذلك العمل نتيجة ظروف خاصة دفعتها الى تلك الطريق .

ولم يقصر حنا مينة الثورية على المومس ، فقدسية في « القطاف » جسدت البعد الرمزي الثوري اضافة الى البعد الواقعي . فهي مساوية للمومس في ثوريتها ، وقد تتفوق عليها . وقدتجسدت ثوريتهافي تحديها للطعون ، ومحاولتها بث روح الثورة في نفس أخيها ، فهي تعلم

---

(١) ابراهيم السعافين – صورة المرأة في روايات حنا مينه ص ٢٧

(٢) الشمس في يوم غائم ، ص ٢١٦

(٣) مؤيد الطلال – ادب حنا مينه بين احباطات الشكل الهندسي وتقدم المنظور الاجتماعي مجلة الاقلام العراقية . العدد الثاني ، السنة العاشرة، ١٩٧٤ . ص ٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه غير راضي عن أوضاع الفلاحين ، وعن المعاملة التي يلقونها ، وأنه يحمل أفكاراً اشتراكية في ذهنه ، لكنها تريده أكثر جرأة .

وإذا كانت امرأة القبو ، وزنوبة ، وقدسية رمزا للثورة والتغيير ، فإن أم صقر في « المصابيح الزرق » ، وأم خليل ، وهناء في « الثلج يأتي من النافذة » وأم الفتى ، وزوجة الخياط في « الشمس في يوم غائم » ، وأم فرح في « الولاعة » ، وأم مفيد في « نهاية رجل شجاع » ، رمز للسلبية والتخاذل والجهل .

فأم صقر قمة الجهل والتخاذل ، وكذا أم فياض ، التي منعتها سلبيتها ، من محاولة ثني ابنها عن الرحيل وتشاركهما أم فرح سلبيتهما ، فجهلها لواقع الامور ، دفعها إلى الوقوف ضد زوجها وابنها ، وإلى تصديق كل ما يقوله الممسوس لاندويوس !

أما هناء زوجة جوزيف ، فهي اضافة إلى سلبيتها ، ترمز إلى البرجوازية الطفيلية غير النتيجة ، في جشعها ، ومحاولتها الاثراء بأقصى سرعة ، وفي قلقها على مصيرها وفي تخوفها من المستقبل .

إنها ترمز للبرجوازية ، التي تتطلع إلى تحقيق مكاسبها الخاصة ، عن طريق تحالفها مع الطبقات الكادحة ، مع أنها غير راضية عن هذا التحالف ، لكنها مضطرة إليه من أجل تحقيق مكاسبها الخاصة ،وضرب مصالح الاقطاعية المنافسه لها .

وأم مفيد منعتها سلبيتها من البحث عن ابنها ، الذي بقي مشردا سنوات طويلة من حياته بعد تركه البيت .

وتشاركهم أم الفتى ،وزوجة الخياط في سلبيتهم . فأم الفتى سلبية ، لأنها ترضى بواقعها الذي تعيشه ،بين راقصي التانجو ، وبين زوجها الذي يتركهاأحيانا كثيرة . وزوجة الخياط رمز للفئة السلبية الجاهلية ، التي ترضى بواقعها المهين الذي تعيشه ، ذلك الواقع الذي يعكس ظلم السيد الاقطاعي ، ومع ذلك لا تحاول الانضمام إلى الفئة الثائرة ،وذلك بسبب خوفها من ظلم الطبقة المسيطرة .

فكلتاهما رمز للسلبية ،وعقلية القطيع .

ويتطور الرمز وتزداد كثافته، ليجسد المرأة التي ترمز للنظرة الضبابية غير المستقرة . كما يتضح من خلال شخصية ابنة العم والأخت في « الشمس في يوم غائم » فانتماء ابنة العم للطبقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقطاعية ، جعل نظرتها ضبابية ، فعويناتها الطبية رمز للنظرة الضبابية التي تمنعها من رؤية الأمور على حقيقتها ، وبالتالي محاولة تغييرها . والكلام نفسه يقال عن الأخت ، فرغم تأييدها لأخيها ، إلا أن نظرتها الضبابية منعتها من مواكبته . ورغم ذلك قطعت شوطا في طريق التغيير باحثة وراء الغيم عن شمسها الموعودة .

وإذا كانت كل من الاخت ، وابنةالعم ترمزان للنظرة الضبابية ، غير المستقرة فإن أم فارس في « المصابيح الزرق » ، والأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و«المستنقع « و « القطاف » ، وأم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار « . رمز للعطاء والتضحية ،

أما راجعة في « مأساة ديمتريو » ، فترمز للوطن ، الذي ما زال في قمة عطائه ، ومثله التي يحاول تطبيقها من خلال الفئة المثقفة . لكن الطامعين في الوصول إلى السطلة ممثلا بالبرجوازية – السبعينات – استولوا على الوطن – راجعة – لاعتقادهم أنهم الأحق في تسيير مقاليد البلاد . لكنهم فشلوا . لأن الوطن ينتظر أن يأتي الشعب – راجع – لينقذه ، لكن الشعب فشل في ذلك .

وأيضا نستطيع القول إن كاترين الحلوة في ثلاثية « حكاية بحار » ، و« الدقل» ، و« المرفأ البعيد » ، رمز للقضية الوطنية – ابتداء من العشرينات إلى أواخر الستينات – التي تتجاذبها ثلاث قوى هي الشعب والبرجوازية الجديدة والقوى الاجنبية . فقد أحبها الأب ، وعندما أدرك علاقاتها مع الاتراك الأعداء أجبرها على مغادرة مرسين والعودة إلى الوطن حتى يحميها ويغتصبها من أيدي الأعداء ، وفي الوطن تحافظ كاترين على أبعادها الشعبية من خلال ما ترمز إليه علاقتها بسعيد حزوم الذي هو في نهاية الأمر صورة عن أبيه ورمز للصمود الشعبي .

إذ يقول السارد في رواية الدقل « صالح حزوم لم يمت ،إنه لا يموت ، سعيد حزوم مكانه ، يليق بي أن اكون مكانه ، وغداً إذ اعاد يسمع بأذنيه كل شئ ،يعرف أنني ابنه وخليفته » [1]

لكن كاترين تزوجت من أصحاب المراكب الذين يمثلون هذه البرجوازية الوطنية التي تستعد للوصول إلى السلطة .وهكذا تكسب هذه الطبقة الاجتماعية القضية الوطنية لكن القضية سرعان ما تضيع لأن البرجوازية غير قادرة على حل القضايا الاجتماعية ، فتعادي الطبقة العمالية ممثلة في رموزها ومناضليها (قاسم العبد) ولا تجد الخلاص إلا في خدمة القوى الاجنبية ،

---

(١) الدقل ، ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك تعرض قضية الشعب الى الخطر الاجنبي ، ذاك ما يرمز اليه موت الزوجين (الريس عبدوش، والريس زيدان) وسفر كاترين مع بحار يوناني بحثا عن صالح حزوم . وبذلك لم تعد بالنسبة إلى البطل انسانة غير سوية بل أصبحت الحبيبة المفقودة .

ثم تتوالى الانقلابات السياسية ، ولكن الشجرة لم يتم اقتلاعها ويرحل سعيد حزوم في نهاية الرواية بحثا عن أبيه وحبيبته ، أي عن تاريخه وقضيته . (١)

أمّا شكيبة في الياطر ، فهي رمز للقوة والصلابة ، اضافة إلى أنها رمز للطبيعة . فهي بنت الطبيعة الجبلية ، بابائها تعشق بعنف ، وتقاوم بعنف . وقد روضت زكريا ليصبح انسانا يعشق ويحب .

وهناك من تعتبر رمزا للحب المستحيل ، وهي دينيز في « الثلج من النافذة » فرغم حبها لفياض واستعدادها أن تسير معه في طريقه المحفوف بالمخاطر إلا انه رفض هذا بسبب ظروفه السياسية التي لا تسمح له بالتفكير في وضعه الاجتماعي وتعتبر أيضاً ابنة الجيران في « الشراع والعاصفة » رمزا للحب المستحيل ، فكامل تشغله همومه السياسية عن التفكير الجدي بالزواج منها . رغم حبه لها ، وحلمه أن تكون له .

الخاتمة

نستطيع القول ان الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سورية بعد الحرب العالمية

---

(١) محمد الباردي – حنا مينه روائي الكفاح والفرح . دار الآداب – بيروت ط١ ١٩٩٣ . ص ١٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

نستطيع القول إن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سورية بعد الحرب العالمية الاولى كان سيئا للغاية ، نظراً للاوضاع التي نجمت عن الانتداب الفرنسي ، وقد انعكست هذه الاوضاع سلبيا على المجتمع السوري بشكل عام ، وعلى المرأة السورية بشكل خاص . فالفقر المدقع المنتشربين أبناء الشعب ، دفعها للخروج من بيتها للعمل خادما في البيوت ، أو عاملة في المصانع ، أو في الارض . أما الفتيات اللواتي تمتعت أسرهن بنوع من الثراء فإن حظاً من التعليم أتيح لهن ، ومع ذلك لم يمنحن الحرية الكاملة . وقد تغير الوضع نوعا ما في أواخر الخمسينات وبداية الستينات .

وبعد :

وبعد هذا التجوال في عالم المرأة الذي اطللنا عليه من خلال نافذة حنا مينه ، فإننا نستطيع القول إن المرأة نالت عطفه في مختلف مستوياتها وصورها حتى الخاطئة ، فهي في نظره لم تختر طريقها الممتلئ بالاشواك ، بل أجبرت عليه ، لذا جعلها تملك روحا نقيه طاهرة دفعتها الى الانضمام للثائرين على الانتداب .

ولم تبد المرأة في صورة النقيض إلا من خلال أوصاف سريعة لا تجسد شخصية انسانية بقدرما ترمز إلى موقف اجتماعي ،أو طبقي ، على نحو ما نرى في سلوك الأرملة في « المصابيح الزرق » التي ترمز للفئة الضالة المتعاونة مع الانتداب . وعلى نحو ما نرى في سلوك هناء في « الثلج يأتي من النافذة » ، التي أدانها لأنها ترمز للبرجوازية الصغيرة التي بدأت تنمو في الخمسينات ، وتحالفت مع الطبقة العاملة من أجل تحقيق مصالحها في ضرب الاقطاعية ، التي تشكل عائقا يقف في وجهها . وعلى نحوما نرى أيضا في سلوك غندف في « القطاف » ، التي أدانها لسلوكها المشين مع الوالد .

ونلاحظ أنه لم يقف موقفا سلبيا من ام الفتى في « الشمس في يوم غائم » رغم أنها زوجة اقطاعي كبير ، وهذا نابع من منطلق عكسه لواقع المرأة في تلك الفترة – الثلاثينات والاربعينات – المستسلمة لقيود مجتمعها وعاداته ، والخاضعة لارادة زوجها ، رغم اختلاف الطبقة المنتمية إليها .

ونستطيع القول أنه في تصويره وعكسه للنماذج النسائية ، تكاد تكون نظرته للمرأة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشكل عام تقديسية ، وكان للأم . النصيب الاكبر في هذه النظرة ، فقد صورها ما قبل الخمسينات على أنها قديسة ، طيبة ، ساذجة ، تتمنى الخير للجميع ، وهي في الوقت نفسه خاضعة لسيطرة زوجها ، لا تستطيع مناقشته فيما يقوله او يفعله ، والا تعرضت للاهانة والضرب.

وهي أيضاً مثال للتضحية والعطاء ، وتجسد هذا من خلال خروجها للعمل ، لكنها في الوقت نفسه سلبيه اتجاه الانتداب ، إذ لم تشارك في النضال .ورغم ذلك نستطيع القول ، ان الأم في ثلاثية « بقايا صور » ، و« المستنقع » ، « القطاف » ، وأم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار » ، «والدقل » ، « والمرفأ البعيد » ، جسدت البداية الحقيقية ليقظة المرأة في العشرينات والثلاثينات .

أما في الخمسينات . فقد جسدت زوجة خليل في « الثلج يأتي من النافذة « تطور وعي المرأة السياسي الذي ظهر بشكل بارز في السبعينات فقد أصبحت مساوية للرجل في نضاله ضد الاحتلال – وتمثل هذا في شخصية رباب في « المرصد ».

ولو حاولنا مقارنة صورتها في الخمسينات والستينات والسبعينات –الأم – الزوجة – ، مع صورتها في الأربعينات والثلاثينات ، لوجدنا أنها تطورت نوعا ، فقد أصبحت تستطيع مناقشة زوجها فيما يقوله ، أم رنا في « حمامة زرقاء في السحب » هناء في « الثلج يأتي من النافذة »، حتى ان بعضهن قد حاولن الرد عليه وعلى سيطرته ، وتجسد هذا من خلال شخصية راجعة في « مأساة ديمتريو » .

هذا بالنسبة للأم أما المومس فقد صورها على أنها فيض من الأنوثة والمشاعر الانسانية الفياضة ، بحيث ، جعلها نموذجا للمرأة الثورية ، التي تقود الشعب للثورة على الظلم وممثليه ، رغم واقعها المشين . وقد تجسد هذا من خلال شخصية زنوبة في « بقايا صور » ، وامرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » ، وجوجا في « الربيع والخزيف » .

وقد صورها هي والحبيبة على أنهما الملاذ والمأوى الذي يلجأ اليهما الرجل ليبثهما آماله وآلامه ، ونذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر ، ليلى في « حمامة زرقاء في السحب « ، بربارة في « فوق الجبل تحت الثلج » ، لبيبة في « نهاية رجل شجاع » ، سلافة في « الرحيل عند الغروب» ، وايرجكافي « الربيع والخريف »

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكننا القول أن المكان والزمان لعبا دوراً كبيراً في التأثير على المرأة وعلى سلوكها ونفسيتها ، وقد تأثرت نظرتها الى المكان بمزاجها النفسي ، فقدكانت ترى المكان الواحد بأكثر من رؤية تبعا لتطور المزاج النفسي . وقد تجسد هذا من خلال معظم الشخصيات النسائية نذكر منها على سبيل المثال الأم في « بقايا صور » ، قدسية في « القطاف » ، نجوى في « الشرع والعاصفة » راجعة في « مأساة ديمتريو » . . .

وقد أضاءت اللغة المستخدمة من قبل المرأة نفسيتها ، وكشفت عن واقعها ، اذ استخدم حنامينة اساليب متنوعة في تقديمه لشخصياته النسائية ، فقد قدمها عن طريق السرد الذي يتخلله الحوار الداخلي او الخارجي ، وعن طريق المذكرات والاسترجاع ، مع تفاوت في نسبة استخدامه لكل اسلوب وغلبة الأسلوب السردي الوصفي على الأساليب الاخرى .

وهذه الاساليب المتنوعة كشفت عن واقعها الاجتماعي وعن طبيعتها ، بحيث تستخدم اللغة التي تناسب موقعها الطبقي ، وطبيعتها . فاللغة المستخدمة من قبل الأم مثلا + ام سعيد ، ام الفتى ، أم فارس ، زوجة المختار ..)تختلف عن اللغة المستخدمة من قبل المرأة المنحرفة – زنوبة ، امرأة القبو . وقد تجسدت أيضا في بعض الشخصيات النسائية ، شخصية النموذج الذي يمثل بطلا أنسانيا لفئة من الناس ، أو لطبقة معينة ، دون أن يكون بطلا متفردا لا – يستطيع أفراد طبقته الوصول إلى مرتبته بحيث تعددت النماذج النسائية في رواياته، لتشمل نموذج الكفاح الاممي الذي تجسد من خلال الأم في ثلاثية « بقايا صور » و « المستنقع » ، و « القطاف»، وأم سعيد في ثلاثية « حكاية بحار » . ونموذج المومس الفاضلة الثورية ، التي جسدته زنوبة في « المستنقع » ، وامرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » . ونموذج المرأة الثورية التي جسدته قدسية في « القطاف » .

أما بالنسبة للرمز فان بعضهن كن رمزا للوطن – القضية الوطنية – مثل راجعة في « مأساة ديمتريو » ، وكاترين الحلوة في ثلاثية « حكاية بحار » . وبعضهن كن رمزا للبرجوازية مثل هناء في « الثلج يأتي من النافذة » .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

أ- روايات حنا مينه :-

١- المصابيح الزرق . دار الاداب - بيروت ، ط٦ ١٩٨٩ .

٢- الشراع والعاصفة . دار الآداب - بيروت ، ط ٦ ١٩٨٩ .

٣- الثلج يأتي من النافذة . دار الآداب - بيروت ط٦ ١٩٨٨ .

٤- الشمس في يوم غائم . دار الآداب - بيروت ، ط٥ ١٩٨٨ .

٥- الياطر دار الآداب - بيروت ، ط٣ ١٩٨٤ .

٦- بقايا صور . دار الآداب - بيروت ، ط٤ ١٩٨٦ .

٧- المستنقع . دار الآداب -بيروت ،ط٤ ١٩٨٦

٨- المرصد . دار الآداب - بيروت ، ط٣ ١٩٩٠.

٩- حكاية بحار . دار الآداب - بيروت ، ط٣ ١٩٨٦ .

١٠- الدقل . دار الآداب - بيروت ، ط٢ ١٩٨٤ .

١١- المرفأ البعيد . دار الآداب - بيروت ، ط٣ ١٩٨٦ .

١٢- الربيع والخريف .دار الآداب - بيروت ، ط٣ ١٩٩١ .

١٣- مأساة ديمتريو . دار الآداب - بيروت ، ط٢ ١٩٨٩ .

١٤- القطاف . دار الآداب - بيروت ، ط١ ١٩٨٦ .

١٥- حمامة زرقاء في السحب . دار الآداب - بيروت ، ط١ ١٩٨٨ .

١٦- نهاية رجل شجاع . دار الآداب - بيروت ،ط١ ١٩٨٩ .

ملاحظة : رتبت الروايات ، حسب تاريخ صدور الطبعة منها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧- الولاعة . دار الآداب - بيروت ، ط١ ١٩٩٠ .

١٨- فوق الجبل تحت الثلج . دار الآداب - بيروت ، ط١ ١٩٩١ .

١٩- الرحيل عند الغروب . دار الاداب - بيروت ، ط١ ١٩٩٢ .

ب - حنا مينه

- حوارات واحاديث في الحياة والكتابة الروائية دار الفكر الجديد - بيروت ، ط١ ١٩٩٢.

- رسائل للباحثة بتاريخ ١٩٩٢/٦/١٤

١٩٩٢/٥/٣

١٩٩٢/٢/٢٩

- كيف حملت القلم . دار الآداب - بيروت ط١ ١٩٨٦ .

- هواجس في التجربة الروائية ، دار الآداب - بيروت ط٢ ١٩٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- المراجع :-

١- ابراهيم السعافين – تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام . دار المناهل للطباعة والنشر – بيروت ط٢ ١٩٨٧ .

٢- احمد وصفي زكريا – الريف السوري : مطبعة دار البيان – دمشق الجزء الاول ١٩٥٥ .

٣- أمل دكاك ، وسلمى كامل – دور الصحفية العربية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية . الخدمة الاعلامية للمرأة العربية . مجموعة اعمال ندوة الصحفيات العربيات في الجزائر ١٩٨١ .

٤- انجيل بطرس سمعان – دراسات في الرواية العربية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

٥- بدر الدين السباعي – اضواء على الرأسمال الاجنبي في سورية ١٨٥٠ – ١٩٥٨ ب. ت .

٦- جميل صليبا – الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث . معهد الدراسات العربية والعالمية – القاهرة ١٩٥٨ .

٧- جميل علواني – نضال شعب وسجل خلود . مطبعة الآداب والعلوم – دمشق ١٩٧٣ .

٨- جورج طرابيش – الرجولة وايديولوجيا الرجولة في الرواية العربية دار الطليعة – بيروت ط١ ١٩٨٣ .

٩- حسن الحكيم – مذكراتي ، من تاريخ سورية الحديث . ١٩٢٠ –١٩٥٨ دار الكتاب الجديد –بيروت ١٩٦٦ .

١٠- حليم بركات – المجتمع العربي المعاصر . مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ، ط١ ١٩٨٤ .

١١- خالد القطيشي – الساقطة المتمردة شخصية البغي في الأداب التقدمي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان ، ط١ ١٩٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- خضر زكريا - خصائص التركيب الطبقي في سورية .ب .ت

١٣- خير الله طنوس خير الله - حول المسألة الاجتماعية والتربوية في سورية . مترجمة ، ميشال ابي فاضل ، وسمير الحايك . دار الصحافة للطباعة والنشر - طرابلس ، ط٢ ١٩٨٤ .

١٤- دي فوتو ، برنار - عالم القصة . ترجمة محمد مصطفى هدارة . عالم الكتب - القاهرة ١٩٦٩ .

١٥- رزق الله هيلان - الثقافة والتنمية الاقتصادية في سورية والبلدان المختلفة . المطبعة التعاونية - دمشق ١٩٧٣

١٦- ساطع الحصري - تقارير عن احوال المعارف في سورية . مطبعة الجمهورية السورية ١٩٤٥ .

- حولية الثقافة العربية - السنة الاولى - ١٩٤٩/١٩٥٠ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٩

- حولية الثقافة العربية - السنة الثانية - ١٩٥٠ /١٩٥١ . دار الرياض للطبع والنشر . ب.ت .

١٧- سحر السيوفي - حركة التأليف الأدبي واللغوي في القطر العربي السوري ، منذ مرحلة الاستقلال حتي منتصف السبعينات رسالة ماجستير . جامعة دمشق ١٩٨٠ .

١٨- سعيد مغربل ، وانور العقاد - مطالعات في المجتمع الريفي . مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ط١ ١٩٦٥ حلب

١٩- سمر روحي الفيصل - الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٦ .

٢٠- سيزا قاسم - بناء الرواية . دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت ط١ ١٩٨٥ .

٢١- صلاح فضل - منهج الواقعية في الابداع الادبي . دار الآفاق - بيروت ط٣ ١٩٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢- عبد الحق حداد ، وعدنان حميش - تاريخ الحركات الفلاحية .ب .ت.

٢٣- عبد الحميد المحادين - رؤية في الظل . وزارة الاعلام - البحرين ط١ ١٩٨٣ .

٢٤- عبد الفتاح عثمان - بناء الرواية ، (دراسة في الرواية المصرية » مكتبة الشباب - مصر ١٩٨٢ .

٢٥- عبد المحسن طه بدر - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٩ - ١٩٣٨) . دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ .

٢٦- عبد الهادي عباس - المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وانظمتها . دار طلاس للدرسات والترجمة والنشر دمشق ط١ ١٩٨٧ . الجزء الثالث .

٢٧- العهد الجديد ، انجيل لوقا ٢/٨ ، ١٠/٢٤ جمعية الكتاب المقدس - بيروت ١٩٧٧.

٢٨- غالب هلسا - قراءات في أعمال يوسف الصايغ ، يوسف ادريس ، جبرا ابراهيم جبرا ، حنا مينه . دار ابن رشد - بيروت ب.ت

٢٩- غالي شكري - معنى المأساة في الرواية العربية - رحلة العذاب . دار الافاق الجديدة - بيروت ط٢ ١٩٨٠ .

٣٠- فوزية العطية - المرأة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي . معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد ١٩٨٣ .

٣١- لوتمان ، يوري ، وآخرون - جماليات المكان . عيون المقالات باندونغ الدار البيضاء . دار قرطبة ط٢ ١٩٨٨ .

٣٢- ماجد علاء الدين - الواقعية في الادبين السوفييتي والعربي. دار الثقافة - دمشق ، ط١ ١٩٨٤ .

٣٣- محمد الباردي - حنا منيه روائي الكفاح والفرح . دار الآداب بيروت ط١ ١٩٩٣ .

٣٤- محي الدين السفرجلاني - تاريخ الثورة السورية . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - دمشق ١٩٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥- محي الدين صابر - الامية مشكلات وحلول . المكتبة العصرية - صيدا - بيروت . ١٩٨٦ .

٣٦- مديرية التخطيط والمتابعة والاحصاء ، وزارة التربية

- دراسة احصائية عن توزيع التلاميذ في المرحلة الابتدائية الرسمية بين المدن والريف والذكور والاناث من عام ٦٢/٦٣ حتى عام ٧٠/ ٧١ . الجمهورية العربية السورية .

- دراسة الاستيعاب في مراحل التعليم المختلفة لعم ٧٠/٧١ الجمهورية العربية السورية .

٣٧- مراد كاسوحة - الرؤية الايديولوجية والموروث الديني في ادب حنا مينه . دار الذاكرة -حمص ، ط١ ١٩٩١ .

٣٨- المكتب المركزي للاحصاء - تعداد السكان ١٩٦٠ /١٩٧٠ /١٩٧٤ . الجمهورية العربية السورية .

- المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٧ . السنة العشرون . الجمهورية العربية السورية . مطبعة الحكومة - دمشق ١٩٦٩ .

- المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٠ . الجمهورية السورية

- المرأة بين الماضي والحاضر . سلسلة الدراسات رقم ١٠٦ الجمهورية العربية السورية .

٣٩- ملكة ابيض - التربيةالمقارنة ، التربية في الوطن العربي مطبعة جامعة دمشق - سورية ١٩٨٢ .

٤٠- موريس ابو ناضر - الالسنية والنقد الادبي . دار النهار - بيروت ١٩٧٩ .

٤١- ميرهوف ، هانز - الزمن في الأدب . ترجمة سعد رزق . موسسة سجل العرب . بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ، نيويورك ١٩٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٢- نبيل سليمان ، وبو علي ياسين - الاديولوجيا والادب في سوريا ١٩٦٧- ١٩٧٣ . دار الحوار - دمشق ط٢ ١٩٨٥ .

٤٣- نبيلة ابراهيم - نقد الرواية . النادي الادبي - الرياض ١٩٨٠ .

٤٤- نبيلة الرزاز - مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية منذ الاستقلال ١٩٤٥ - ١٩٧٥ . وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٥ .

٤٥- نجيب الارمنازي - محاضرات عن سورية من الاحتلال حتى الجلاء معهد الدراسات العربية العالمية - القاهرة ١٩٥٤

٤٦- نعيم اليافي - التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث . ١٨٧٠ - ١٩٦٥ . اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢ .

٤٧- وليد المعلم - سورية ١٩١٨ - ١٩٥٨ التحدي والمواجة . مطبعة عكرمة - دمشق ١٩٨٥
- سورية ١٩١٦ - ١٩٤٦ . الطريق الى الحرية دار طلاس - دمشق ط١. ١٩٨٨

٤٨- يحي عرودكي - الاقتصاد السوري الحديث . وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق ١٩٧٢ . الجزء الاول .

٤٩- يوسف نوفل - قضايا الفن القصص . المطبعة العربية الحديثة - القاهرة ١٩٦٧ .

٥٠- يوسف اليوسف - السلطة السياسية في سورية المعاصرة طابعها ومحتواها الاجتماعي من ١٩٢٠ حتى الآن . رسالة ماجستير . جامعة دمشق . ١٩٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوريات :-

١- الاقلام :-

أ- ابراهيم السعافين - صورة المرأة في روايات حنا مينه . العدد التاسع . السنة الخامسة عشرة . حزيران ١٩٨٠ .

ب- مؤيد الطلال - ادب حنا مينه بين احباطات الشكل الهندسي وتقدم المنظور الاجتماعي . العدد الثاني السنة العاشرة ١٩٧٤ .

٢- افكار :

يوسف ضمرة - المرأة في عالم حنا منيه الروائي . العدد السادس والخمسون . شباط ١٩٨٢

٣- الثقافة السورية :

ملك عبيد ، وبلال جنيدي - عالم حنا مينا الروائي آب ١٩٧٨

٤- الثقافة العراقية :-

شمس الدين موسى - الشمس في يوم غائم العدد التاسع .السنة الرابعة ، ايلول ١٩٧٤ .

٥- الحياة الثقافية :-

أ- عاطف بطرس - الربيع والخريف لحنا مينه ، العلاقة بين الشرق والغرب ، من اللقاء العاطفي الى الدلالة الاجتماعية .العدد السابع والاربعون ١٩٨٨ .

ب- ليلى درغوث - المكان والزمان في يوميات نائب في الارياف العدد الثامن والخمسون ١٩٩٠ .

٦- الدوحة:-

ب- محمد عبد الملك - الشمس في يوم غائم . انجاز ادبي باهر في الرواية العربية المعاصرة . العدد الخامس والثمانون . يناير ١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- فصول :

أ- صبري حافظ - الحداثة والتجسيد المكاني . العدد الرابع ١٩٨٤ .

ب- فتوح احمد - الحوار الروائي . العدد الثاني ١٩٨٣ .

٨- المجلة :

نعيم عطية - دلالة الزمن في الرواية الحديثة . العدد السابع عشر ، فبراير ١٩٧١

٩- المستقبل العربي : -

حليم بركات - النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية . العدد الرابع والثلاثون ١٩٨١.

١٠-المعرفة :-

أ- شكري عزيز الماضي - الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في سورية ١٩٣٧ - ١٩٥٧ .العدد السادس والاربعون بعد المائتين . ١٩٨٢

ب- نجاح العطار - وضع المرأة في سورية .العدد السادس والستون بعد المائة . كانون الاول ١٩٧٥ .

جـ- نبيلة الرزاز - تطور تعليم الاناث في سورية . العدد السادس والستون بعد المائة . كانون الاول ١٩٧٥ .

١١- المعلم العربي :

حسام الخطيب - ازدهار التعليم واثره في نهضة القصة السورية العدد العاشر ، تشرين الاول ١٩٧٣ .

١٢- الموقف الادبي :

ملاحة الخاني - نموذجان للمرأة في روايتين سوريتين . العدد السادس والتسعون ، نيسان ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

THE IMAGE OF WOMAN IN HANNA MINA'S NOVELS

Hanna Mina is one of the novelists who have remarkably and artistically portrayed the woman in her social setting

This thesis is an attempt at studying The portrait of the woman in Mina's novels which reflect her station in the life of the nation before and after the fifties.

The study has shown that political , economic and social conditions in Syria had their positive and negative impacts on the Syrian woman . it analyzes the woman in her various roles : as a mother , wife ,widow , daughter , sister , beloved and even as a " good "Prostitute ; and defines Mina's ideological and artistic stance toward the woman .

we can say that Mina has depicted all categories of women , the problems they face and the agonizes they suffer due to the constraints of social customs and traditions . giving scope to the woman's struggle in a society that looks down upon her . He sympathizes with her in all her levels and types . He even sympathizes with the sinner because , as far as he is concered , she does not choose her way of life , but is rather forced into it , and therefare , she basically has a pure soul that makes her join those who rebel against the Mandate .

she is never portrayed otherwise except in passing remarks that tend to indicate a social situation rather than a human character .

The study deals also with the influence of time and space on the psychology and behavior of the woman , as well as the role of the language in defining her social , psychological and natural existence . it analyzes the woman's portrait as a human character and as atype , as areality and as a symbol .

٤٣٢٦٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit